التعانق البلاغي
وأثره في تكاثر النكات وترابطها
في الشاهد البلاغي

بقلم الدكتور

رضا العزب يوسف العزب

مدرس البلاغة ـ قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب ـ جامعة دمياط ـ جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثاني (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

التعانق البلاغي
وأثره في تكاثر النكات وترابطها في الشاهد البلاغي

رضا العزب يوسف العزب
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة دمياط - جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني : redaalazab173@yahoo.com

الملخص

تهدف الدراسة إلى إعادة قراءة الشاهد البلاغي في ضوء التعانق البلاغي وأثره الجمالي في تكاثر النكات وترابطها؛ لبيان أهميته في استجلاء المعاني الكامنة وراء حواشي الصيغ والتراكيب، مع اختبار وشائج القربى بين علوم البلاغة في قراءة الشاهد البلاغي، وهل لعلم البديع دور في التشكيل الجمالي لعلمي المعاني والبيان أم أن وظيفته عرضية؟ وقد أبانت الدرسة عن أسباب غياب هذه الظاهرة في مصنفات مدرسة التقنين البلاغية، والاهتمام بها على يد رواد المدرسة الأدبية؛ كابن أبي الإصبع المصري، وابن حجة الحموي إلى أن اتسم بها التفسير البلاغي للقرآن، ولم تحظ ظاهرة تكاثر النكات بتتبع في قراءة الشاهد النبوي والشعري، فجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين؛ فأما عن المقدمة، فقد ضمنتها أهمية الدراسة، وأسئلتها، وأسبابها، ومنهجها، واشتمل التمهيد على النكتة البلاغية، وروادفها المشتركة في الموروث البلاغي. وأما عن المبحث الأول، فقد جعلته بعنوان: التعانق البلاغي بين بلاغة التقنين والتفسير. وجاء المبحث الثاني بعنوان: التعانق البلاغي وأثره الجمالي في تكاثر النكات وترابطها في الشاهد.

الكلمات المفتاحية: التعانق، البلاغي، النكات، الترابط، الشاهد.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Rhetorical embrace
And its impact on the proliferation of jokes and their interrelationship in the rhetorical witness

Reda El-Azab Youssef El-Azab
Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Damietta University, Arab Republic of Egypt .
Email: redaalazab173@yahoo.com

Abstract

The study aims to re-read the rhetorical witness in the light of rhetorical embrace and its aesthetic impact on the reproduction and interdependence of jokes; by testing the kinship ties between the sciences of rhetoric in the statement of the aesthetic of the rhetorical witness, and what are the reasons for the absence of the phenomenon in the works of the school of codification, and interest in it among the pioneers of the literary school; until it was characterized by the rhetorical interpretation of Qur'an, and the phenomenon of the proliferation of jokes and their interdependence did not receive a trace in the reading of the prophetic and poetic witness, so the research came in two sections; the first, it made it Rhetorical embrace between the rhetoric of codification and interpretation. second is rhetorical hugging and its aesthetic impact on the proliferation of jokes and their interdependence in the witness.

Keywords: **embracing, rhetorical, jokes, bonding, witness.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا من ضيق المعاني في الكلام إلى سعة البلاغة والبيان، فأعجز بكتابه الإنس والجان، ورزق نبيه فصاحة وبلاغة تعلو على الآنام. أما بعد،

فمما لا نزاع فيه أن ثمار العلم لا ينالها المرء دفعة واحدة، ولا يذوق طعمها حتى يتتبع ما يدور في فلكها، وينضبط به فهمها، ومن ثم تصير الفكرة علما، والمصطلح قضية، تعزز من اتساعها الشواهد الدالة عليها، ثم يتسع الشاهد جماليا بما اشتمل عليه من النكات واللطائف التي يبرزها التأويل الصحيح؛ فيغدو النص ساحة واسعة للتعانق البلاغي، ومن ثم نشأت فكرة هذا البحث، ولا سيما عندما ذكر بعض البلاغيين أن قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ٤٤]، قد اشتمل على ثلاثة وعشرين نوعا من البديع؛ أي- فيما بلغه- وهي سبعة عشر لفظا، فقلت في نفسي: إن للبلاغة العربية في النص من الاتساع الصحيح ما ليس لغيرها من جملة علوم العربية، ولما لا وهي من أوفر العلوم فنونا، وأغزرها بيانا، وأعذبها تذوقا، وأرفعها قدرا؛ لعظم غايتها في بيان الإعجاز القرآني، ودقة مسلكها في ثراء النص الأدبي، ورأيت أن أتتبع دراسة تلك الظاهرة في مظانها من كتب البلاغيين والمفسرين؛ لبيان جمالية التعانق بين الفنون البلاغية وأثره الجمالي في تكاثر النكات وترابطها، ومن ثم جعلت البحث بعنوان: (**التعانق البلاغي وأثره في تكاثر النكات وترابطها في الشاهد البلاغي**).

ومع معالجة بعض الباحثين لمصطلح النكتة المفردة في شواهد متفرقة، فإننا لم نجد دراسة – فيما أعلم- تعالج جمالية تكاثر النكات في الشاهد البلاغي،

وتبرز ما فيه من تعانق بلاغي، يسهم بعضه في جمالية بعض، إلا أن الأمر لم يخل من صعوبات؛ أهمها أنه لم تلق ظاهرة تكاثر النكات البلاغية اهتماما كبيرا في إعادة قراءة الشاهد البلاغي، ولاسيما عند بلاغي مرحلة التعقيد والجمود، ومن تبعهم.

إن هذه الدراسة تمضي ومن وكدها الإجابة عن عدة أسئلة؛ أهمها: ما أسباب عدم تجاوز النكتة المفردة إلى تكاثرها في معالجة الشاهد البلاغي؟ وهل تتكاثر النكات البلاغية ولا تتدافع في النص الأدبي أم أن الأمر لا يطَّرِد؟ وما أهمية التعانق بين الفنون البلاغية في البناء الجمالي للنص؟ وهل لعلم البديع دور في التشكيل الجمالي لعلمي المعاني والبيان أم أن وظيفته عرضية؟

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين؛ فأما عن المقدمة، فقد ضمنتها أهمية الدراسة، وأسئلتها، وأسبابها، ومنهجها، وأما عن التمهيد؛ فقد اشتمل على النكتة البلاغية وروادفها المشتركة في الموروث البلاغي. وأما عن المبحث الأول، فقد جعلته بعنوان: التعانق البلاغي بين بلاغة التقنين والتفسير. وجاء المبحث الثاني بعنوان: التعانق البلاغي وأثره الجمالي في تكاثر النكات في الشاهد.

ورتبت الشواهد على وفق ترتيب العلماء في الاستشهاد بالوحيين، ثم الإرداف بالشاهد الشعري، وألحقت ذلك ببيان ما فيه من التعانق؛ متبعا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، وأرجو من الله التوفيق والسداد. قال تعالى: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨].

التمهيد:

أولا: النكات البلاغية وروادفها المشتركة:

١- النكتة لغة:

تدور المادة المعجمية للفعل (نَكَتَ) حول الأثر في الشيء، ودقة النظر، وإمعان الفكر، قال ابن منظور: "النكت أن تنكت بقضيب في الأرض، فتؤثر بطرفه فيها... وفي الحديث: بينا هو ينكت إذ انتبه؛ أي: يفكر ويحدث نفسه، وأصله من النكت بالحصى"(١)، لمن شغله أمر، وفي هذه المادة بيان للنكت والأثر الناتج عنه، إلا أن الأخير لا يتحقق إلا بدقة النظر، وإمعان الفكر في الأول؛ لأن الشيء لا يسفر عن وجهه إلا بعد النكت فيه، ففي النكت بالحصى صبر على المنكوت وصرف للعقل إلى ما ينشغل به دون غيره، وكلما ازداد النكت، ازداد العمق حتى يقع الإدراك، فإن قال قائل: فما العلاقة بين نكت الأرض والتفكر والإمعان؟ قلنا: في حمل الكلام على التشبيه بيان للعلاقة بينهما، فالذي ينكت في النص لاستخراج المعاني واللطائف والأسرار الكامنة وراء حواشيه؛ كالذي ينكت في الأرض بقضيب أو عصى، فينتبه إلى ما يرغب في الوصول إليه. وفي ذلك مقدمة ونتيجة، يمكن توضيحها على النحو التالي:

المشبه:	أداة التشبيه	المشبه به
النكت في النص بالعقل	كا	النكت في الأرض بالعصى
دقة نظر وإمعان فكر(مقدمة)	↓	دقة نظر وإمعان فكر (مقدمة)
سبر أغوار النص (نتيجة)	محذوفة	سبر أغوار الشيء (نتيجة)

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، ط٥، بيروت، لبنان، دار صادر، ٢٠٠٥م، ٣٥٠/١٤، مادة: (نكت).

وبذلك يتضح اشتمال التشبيه الكامن في الدلالة المعجمية على آلية من أهم آليات التأويل؛ وهي دقة النظر وإمعان الفكر في الشيء المؤوَّل. وللنكتة عدة روادف مشتركة، منها البادرة، والنادرة، واللطيفة، والملح، واللمع...

٢- الروادف المشتركة:

من الروادف المشتركة مع مصطلح النكتة: "البادرة، والنادرة، واللطيفة، والملح، واللمع؛ قال الكفوي: البادرة: هي النكتة التي يبادر بها الإنسان لحسنها... والنادرة هي النكتة الغريبة التي لا يأتي بها الأولون"(١)، ونادر (بالدال المهملة) مشتق من الندرة بالضم؛ وهي القلة، وتطلق على الفوائد والكلام الغريب، وترادف المُلَح(٢)، والمُلَح؛ أي: الغرائب، قال الراغب: "استُعير من لفظ المِلح الملاحةُ، فقيل: رجل مليح، وذلك يرجع إلى حسنٍ يغمض إدراكه"(٣)، فيصير من اللطائف التي تجنح إليها العقول، قال ابن منظور: "يقال: لَطف به وله، بالفتح، يَلْطُف لُطْفًا إذا رَفَقَ به. فأَما لَطُف، بالضم، يَلْطُف، فمعناه صغُر ودقَّ، واللَّطِيفُ من الكلام: ما غَمُض معناه وخَفِي... ولَطُف الشيءُ يَلْطُف: صغر"(٤)، ومن ثم فاللطيفة على معنيين؛ هما: "الدقة أو الخفاء، وهذا باب (لَطُفَ) بضم الطاء. والثاني: الرفق، وهذا باب (لَطَفَ) بفتح الطاء، ويجوز أن يكون المعنيان مرادين في اللطائف، وتكون تسميتها باللطائف؛ لما فيها من الخفاء الذي لا يُدرك إلا بإمعان نظر، أو

---

(١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات معجم في المصطلحات والفروق، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، د.ت، ١/١٤٦٧.

(٢) البوشيخي، الشاهد: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ط١، القاهرة، دار السلام، ٢٠١٨م، ١٨٩، ١٩٩.

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت، ٤٧٢.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ١٣/٢٠٢، مادة: لطف.

للترفُّق في الوصول إلى اللطيفة، أو لاجتماعهما معًا فيها"[١]. وقد برز مصطلح النكت، وبعض روادفه في كثير من المصنفات؛ كالنوادر في اللغة؛ فيما انفرد فيه أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس، والنكت في إعجاز القرآن للرماني، والنكت والعيون؛ للماوردي في تأويل ما خفي علمه، وغمض تصوره وفهمه، والنكت في القرآن؛ لعلي بن فضال المجاشعي؛ وغيرهم.

٣- النكات البلاغية اصطلاحا:

لا يستطيع الباحث في الموروث البلاغي القديم أن يجد تعريفا اصطلاحيا للتركيب الاصطلاحي (للنكات البلاغية)؛ وإنما يطلع على تعريف لمصطلح النكتة بصفة عامة؛ فإن تعلق الأمر بالبلاغة؛ فالنكتة بلاغية، وإن تعلق بالنحو؛ فالنكتة نحوية، وهلم جرا. وقد أدرك الكفوي ذلك، فاستعمل لفظ الكلام لبيان هذا التنوع؛ فقال: "نُكَت الكلام: أسراره ولطائفه التي تحصل بالفكر"[٢]، ومعلوم أن الكلام يتنازعه جملة علوم العربية، ومن ثم ينعكس موضوع النكتة على توصيفها، وهذه النكت على نوعين: مفردة ومتعددة؛ "فأما المفردة فقد ذهبت فيها أقلام بعض الدارسين"[٣]، وأما عن المتعددة التي تتنازعها علوم البلاغة، فلم أقع على بحث يجمع شتاتها، ويقرر ثبوتها، إلا إشارات في بعض المدونات البلاغية القديمة،

---

(١) الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر: ملح التفسير ولطائفه (٢)، https://www.attyyar.com؛ زعطوط، حسين محمد: مصطلح النكت البلاغية بين التنظير البلاغي والفهم التطبيقي للخطابات الأدبية، مجلة اللغة الوظيفية: جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، مج ٨، ع٢، ٢٠١٥م.

(٢) الكفوي: الكليات، 1467/١.

(٣) ينظر: زعطوط، حسين محمد: النكت البلاغية مفاهيم وآليات، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع٨، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م. الخضيري، محمد بن عبد العزيز: لطائف بلاغية في آية قرآنية، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، ع١٥٨، ٢٠٠١م.

وعلة ذلك أنها "لا يلزمها الاطراد"(١)؛ أي لا تكون قاصرة على قرن دون قرن أو في توال عند مؤلف يجمع شتاتها؛ وإنما يتفاضل الناس في استنباطها بقدر توفيق الله لهم، ويمكن أن نستنبط في ضوء ما ذكر الكفوي تعريفا للنكات البلاغية بأنها اللطائف الجمالية والأسرار البلاغية التي تساهم في التكوين الجمالي للنص قصد التعبير عن عدة معان لا يقع بينها تعارض.

ثانيا: **التعانق البلاغي وجمالية التأويل**:

التعانق أو المعانقة: التقارب والضم، "يقال: عانقه معانقة وعناقا التزمه، فأدنى عنقه من عنقه، وضمه إلى نفسه"(٢)،وقد استُعمِل هذا المصطلح في علم القراءات، فقيل: وقف التعانق أو التجاذب، وهو أن تحتمل الكلمة أن تكون من السابق وأن تكون من اللاحق(٣)، ونُقِل مصطلح التعانق إلى الدراسات اللغوية؛ مثل: "تعانق البناء النحوي مع القافية في بائية ذي الرمة ودلالته في النص"(٤)، ووظفه الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي في إعادة قراءة جمالية فن الإطناب من خلال التعانق التركيبي في المستوى الدلالي، والتعانق التركيبي في المستوى الصوتي، وأراد بالتعانق التلازم بين تركيبين(٥)، والتعانق البلاغي هو اشتمال

(١) الكفوي، الكليات، 1/1468.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: (عنق)

(٣) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه: محمد الضباع، القاهرة، دار الفكر، د.ت، ٢٣٨/١ بتصرف.

(٤) ينظر: عبد السلام، فايز صبحي: تعانق البناء النحوي مع القافية في بائية ذي الرمة ودلالته في النص، جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مج ٣٥، ع٤١٨، ٢٠١٤م.

(٥) ينظر: الدسوقي، محمد: فن الإطناب في الفكر البلاغي العربي؛ دراسة بديلة لتنظير البلاغيين القدماء، ضمن بحوث النص والقارئ، الفكر البلاغي والنقدي العربي في ضوء نظرية التلقي، ط١، طنطا، دار النابغة، ٢٠٢٠م، ٣٢٨.

النص على عدة فنون بلاغية لا يقع بينها تعارض أو تدافع، ويسهم بعضها في جمالية بعض. وقد قلنا: التعانق البلاغي، ولم نقل البياني أو البديعي...؛ لأن البلاغة اسم جامع لهذه العلوم، "فكل بيان بلاغة، وليس كل بلاغة بيانا"[١] باعتبار التقسيم الثلاثي لها.

والتأويل البلاغي أو"الكفاية البلاغية؛ كما يسميها محمد مشبال، هي: المقدرة الذاتية على إدراك مواقع البلاغة في الكلام، والإحساس بما ينطوي عليه من صنعة ودلالات خفية، يستهدفها البلاغي المؤول من خلال نوعين من المرتكزات: الأول: الاستدلالات الخطابية؛ وتشمل: السياق النصي، وقوانين الحذف، والتآزر، والبعد الحواري في الخطاب. والثاني: استدلالات موسوعية؛ ترجع إلى ما يمتلكه المتلقي المؤول من مهارات؛ كالكفاية اللغوية، والبلاغية، والنوعية، والمعرفة بالعالم"[٢] ويرتقي النص الأدبي بوفرة التأويل البلاغي الصحيح عند تكاثر الأجناس البلاغية، ويعظم ذلك كلما تضافرت تلك النكات البلاغية على الآية فأكثر من القرآن، وفي الشعر على مستوى البيت المفرد والبيتين، فيصير النص الأدبي في قلة مبانيه وغزارة معانيه؛ كالبيت الصغير الذي يجمع أسرة كبيرة يسودها التعايش الدلالي والجمالي بالائتلاف والالتئام.

---

(١) ابن الأثير، ضياء الدين: كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق: نوري القيسي، جامعة الموصل، 1982م، ٤٣.

(٢) مشبال، محمد: التأويل البلاغي "عن مرتكزات تأويل الوجوه الأسلوبية في البلاغة العربية"، فصول مجلة النقد الأدبي، مج(٢٦/٤)، ع(١٠٤)، خريف٢٠١٨م، ٣٨٩ بتصرف.

ويعظم قدر التأويل البلاغي بمدى موافقته للحق، وليس بالغلو في التأويل، كما عند من اعتمد التأويل المذهبي[١]؛ فجعله حجة على النص، "ولا سند لأصحاب هذا النوع من التأويل يعتمدون عليه في استنباط الدلالة، فهم لا يعتمدون على رواية أو على منطق، بل يعتمدون فقط على مجرد الاحتمالات اللغوية لهذه الدلالة مع احتمال دلالات أخرى"[٢].

ومن تأمل الفنون البلاغية أدرك قيمة التعانق الجمالي بينها، فلم يعد التشبيه البياني بمعزل عن سياقات علمي المعاني والبديع؛ والعكس صحيح، مما يجعلنا نستهدف الترابط بين تلك الفنون البلاغية، ونرصد أثرها في البناء الجمالي لإيراد المعنى الواحد بطرق الاتساع، ومعرفة أحوال الألفاظ، ووجوه تحسينها، فقد يكون لإيضاح المبهم في الإطناب أثر في البنية التكوينية للصور البلاغية، فلا يتم فهم المشبه به إلا باستحضار السياق الكلي للإيضاح بعد الإبهام، ومن الممكن أن يكون للتتميم أثر في فهم الطباق أو المقابلة وهكذا؛ ومن ثم يساهم هذا الترابط في تكاثر النكات مع اختلاف المقتضيات. وبناء عليه يأتي دور التأويل البلاغي في إبراز أثر كل فن بلاغي في البنية التكوينية للنص من حيث المساهمة في وصول المعنى إلى المتلقي بالإقناع والإمتاع. وهذا من شأنه أن ينتج متلقيا إيجابيا يستنطق ما في النص من نكات ويقف على ما فيه من دلالات.

---

(١) لم تخل مصنفات بعض المفسرين من البلاغيين؛ كالزمخشري، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، وأبي حيان التوحيدي، والإيجي، والآلوسي، وابن عاشور، والقشيري، وغيرهم من تطويعات اعتزالية، وأشعرية، وفلسفية، وصوفية؛ يدركها المطلع بعلم على جهودهم في التأويل.

(٢) الكردي، عبد الرحمن: مناهج قراءة النص في التراث العربي، ط١، طنطا، دار النابغة، ٢٠١٩م، ٢٠١٩م، ٦٠.

المبحث الأول: **التعانق البلاغي بين بلاغة التقنين والتفسير**:

لم يلق التعانق البلاغي في مرحلة التقنين على يد السكاكي ومن تبعه ما لقيه من الاهتمام لدى بعض رواد المدرسة الأدبية في الاستطراد البلاغي؛ "كابن أبي الإصبع المصري في (بديع القرآن، وتحرير التحبير)، وابن حجة الحموي في (خزانة الأدب)"(١)، والبلاغيين من المفسرين، وذلك للأسباب التالية:

أولا: **القيود المنهجية للتقنين البلاغي**:

يعد التقنين أو (التقعيد) إحدى المراحل التي يمر بها أي علم من العلوم من حيث ضبط المصطلحات، وانتقاء الشواهد، وتقرير الأصول والقواعد، مع دقة التبويب ومنهجيته، ويبدأ التقنين البلاغي في القرن السابع الهجري، فيصنف السكاكي(٢) (ت٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، ويجعل المحسنات البديعية بعد علمي المعاني والبيان، ثم تزداد منهجية التقنين على يد الخطيب القزويني(٣)(ت٧٣٩هـ)؛ فيجعل البديع أحد علوم البلاغة الثلاثة، وبذلك تنتقل البلاغة بجهود السكاكي ومن تبعه من الذوق إلى التقنين والتقعيد.

---

(١) المدرسة الأدبية في البلاغة؛ هي المدرسة التي امتازت بالتحليل الفني وكثرة الشواهد؛ ومنها: البديع لابن المعتز، الصناعتين لأبي هلال العسكري، العمدة لابن رشيق، سر الفصاحة للخفاجي، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، والمثل السائر لابن الأثير، والبديع لابن منقذ، وبديع القرآن، وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي. يراجع: هارون، عطية جمعة، البلاغة العربية عند ابن حجة الحموي، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٣م، ٧٦.

(٢) أبو يعقوب يوسف السكاكي؛ بالفتح والتشديد، إمام في البلاغة، والاعتزال، قال في مفتاح العلوم: التوحيد والعدل مذهبنا؛ وهما من أصول الاعتزال، ينظر: الهدهد، إبراهيم: إمام البلاغيين أبو يعقوب يوسف السكاكي، مجلة الأزهر، ٣ ربيع الأول، سبتمبر، ٢٠٢٢م، ١٨٤٥. بتصرف.

(٣) سلك *القزويني* مسلك السكاكي في الإيضاح؛ فحمل آيات الصفات على الاعتزال في التأويل، وله في الإيضاح اعتراضات على السكاكي، وزيادات في التقرير، والضبط، والتقنين لمباحث البلاغة.

ومع ما في ذلك من استقلالية العلم وحفظه إلا أن الأمر لا يخل من بعض القصور، ومن أبرزه أن العناوين أنساب المضامين، ومن ثم لم يخرج البلاغيون عن ذكر ما يتفق مع العنوان في الشاهد، فلا نرى في التشبيه ذكرا للكناية، ولا نطلع في الطباق على ذكر للتشبيه...، مع أن العلم كل لا يتجزأ؛ أي لا يمكن أن يغني علم البيان المنعقد على إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة عن علم البديع أو المعاني، فعندما ننظر إلى التورية ندرك دورها في التعمية لدرء المهالك، وعندما نتأمل التشبيه ندرك دوره في الكشف والظهور والوضوح، ومن بديع البلاغة العربية أن النص يجمع بينهما، فنرى تعانقا جماليا بين التورية والتشبيه، أو بين فنون علم البيان وبعض فنون علم المعاني والبديع، وهذا إن دل فإنما يدل على أن النكات البلاغية تتكاثر ولا تتدافع، ولا يقتصر هذا الأمر على البلاغة فحسب؛ بل يصل إلى علم النحو؛ فقد نرى للكلمة عدة أوجه إعرابية صحيحة، ولا سيما في القراءات القرآنية وأثرها في التنوع اللغوي والبلاغي.

وقد فرض التقنين وجوب الفصل بين علوم البلاغة، فصلا يرى الباحث فيه القطيعة بين (البيان، والمعاني، والبديع) في تناول الشاهد البلاغي، فأفضى هذا القيد إلى عدم التحرر من النظرة الجزئية في الاستشهاد إلى سعة التحليل، ومن ثم لم تلق ظاهرة تكاثر النكات تطبيقا واسعا لدى بلاغيي التقنين، فبدت نظرتهم لبعض الشواهد أشبه ما تكون بالقطرة التي لا تروي ظمأ الأقلام العطشى، لما فيها من وحدة الوجه البلاغي. فترتب على ذلك الفصل التقعيد بأن "كل بيان بلاغة وليس كل بلاغة بيانا"[١] بمعنى أن البيان جزء من البلاغة وليست البلاغة كلها بيانا، ففيها المعاني والبديع. ولاستيفاء البلاغيين لكثير من مباحث البلاغة العربية غلب على كثير من المصطلحات البلاغية الاستشهاد غير المحل جماليا.

---

(١) ابن الأثير: كفاية الطالب، ٤٣.

ثانيا: الانشغال باستيفاء المباحث البلاغية:

ومن أسباب غياب ظاهرة تكاثر النكات وتعانقها في معالجات كثير من بلاغيي التقنين، الانشغال باستيفاء المباحث البلاغية، فلم يحظ علم من العربية كما حظيت علوم البلاغة من الاتساع في المصطلحات منذ أن كان البديع في مهده على يد عبد الله بن المعتز، فجمع منه (سبعة عشر لونا)، قائلا: "وما جمع فنون البديع أحد قبلي ولا سبقني إليه مؤلف"(١) إلى أن ربت عن مئتين فن على يد أصحاب البديعيات، وبالتتبع والاستقراء لجهود البلاغيين في استيفاء الأقسام والأنواع البلاغية، يتضح لنا أن لهم في ذلك ثلاثة مسالك، وهم:

المسلك الأول: تعدد المصطلحات البلاغية ونموها، ويمكن بيان جهود البلاغيين في التصنيف البديعي على النحو التالي:

	البلاغي	جهوده في التصنيف:	القرن
١	عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)	جمع سبعة عشر لونا	*القرن* الثالث الهجري
٢	قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)	جمع (عشرين نوعا)، منها (سبعة أنواع) ذكرها ابن المعتز فكان ما زاده قدامة (ثلاثة عشر نوعا).	الثلث الأخير من *القرن* الثالث الهجري
٣	أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)	أضاف إلى قدامة (سبعة أنواع).	*القرن* الرابع
٤	ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ)	بلغت (خمسة وستين بابا).	بين أواخر الرابع والنصف الأول من الخامس

(١) ابن المعتز، عبد الله: البديع، اعتنى بنشره: اغناطيوس *كراتشكوفسكى*، لندن، طبعة كراتشكوفسكي، ١٩٣٥م، ١٠٦.

٥	ابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ)	جمع سبعين واستخرج عشرين.	الخامس الهجري
٦	أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)	جمع خمسة وتسعين نوعا	السادس الهجري
٧	الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)	من المعنوي (ثلاثين نوعا)، ومن اللفظي (سبعة أنواع).	القرن الثامن الهجري
٨	أصحاب البديعيات ومنهم: صفي الحلي ٧٥٠هـ)، وغيره.	ما يربو عن مائتين نوع.	القرن الثامن الهجري

وقد نص المصنفون على مستخرجات كل بلاغي ومخترعاته في هذا العلم، ومن ذلك أن ابن أبي الإصبع قد ذكر أن "التهكم من مخترعاته التي لم يسبقه إليها أحد، وكذلك السلب والإيجاب[١]، وغير ذلك.

المسلك الثاني: الاتساع في أنواع المصطلحات التي تم استخراجها من قبل، والاستشهاد عليها؛ كالتدبيج في أنواع الطباق؛ فهو من مستخرجات ابن أبي الإصبع، ولم تستوف التورية أقسامها إلا على يد ابن حجة الحموي، كما أننا نلحظ الاتساع في الاستشهاد أيضا، فقد قيل: "لم يقع في القرآن من الجناس التام سوى قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾ [الروم:٥٥]، فاستخرج الحافظ بن حجر جناسا آخر تاما؛ وهو قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي**

---

(١) ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن الواحد: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨١هـ، ٥٦٨، ٥٩٣.

الْأَبْصَارِ﴾[١][النور: ٤٣: ٤٤]. واستشهد السيوطي على ذلك بموضع ثالث في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[٢] [الإخلاص: ١:٤].

المسلك الثالث: الاستشهاد البلاغي غير المحل:

يشغل الاستشهاد غير المحل حيزا كبيرا من جهود بلاغيي التقعيد والتقنين؛ لانشغالهم بجمع بعض الشواهد الدالة على المصطلح البلاغي دون الاهتمام بتحليل ما اشتمل عليه الشاهد من الجماليات البلاغية التي تضيء معناه، فنرى في كثير من المباحث ذكرا لاسم الفن البلاغي المستنبط من الشاهد دون الولوج في تعانقه مع غيره، ومن ذلك الاقتصار في مراعاة النظير في قوله تعالى:﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾[الرحمن:٥] على الجمع بين الشمس والقمر؛ وهما غير متضادين، دون التطرق إلى السياق السابق واللاحق، واستنطاق الآية في ضوء التعانق الجمالي بين كثير من فنون البلاغة المشتملة عليها، وكذلك اقتصارهم في مبحث المقابلة على ذكر حدود المقابلة، فيقولون: قابل اثنين باثنين، وثلاثة بثلاثة، وأربعة بأربعة، وخمسة بخمسة، ولا بيان لجماليات هذه المقابلات السياقية. وفي إيجاز الحذف يستشهد بعض البلاغيين على إعجاز قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[البقرة: ١٧٩] ببيان أوجه قصور قول العرب: القتل أنفى للقتل، دون التطرق إلى دور إيجاز الحذف في البناء التركيبي لرد العجز على الصدر في قول العرب: القتل أنفى للقتل، والتقدير: من تركه، ولو ذكر المحذوف، لانتفى رد

---

(١) ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت، ٢٦٣/١١.

(٢) السيوطي، جلال الدين: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م، ١٤٣.

العجز على الصدر، كما أن الختام آخر ما يعلق بالسمع، ومن ثم فتعلق ذكر القتل بالأذن يزيد من التنفير من القتل، والختم بالحياة يزيد من التعلق بالأمل في الآية. ولا يزيد الجهد في التورية عن تحديد المصاحبة المعجمية للكلمة المستشهد بها عليها، فنجد بعضهم يقول: التورية في كلمة كذا والمعنى المراد كذا، فلا يجد الباحث فرقا بين التورية البلاغية والمعاجم اللغوية. وأرى أن العلة في ذلك ترجع إلى الانشغال بتطوير المباحث البلاغية واستيفائها عن إبراز جمالياتها، ومما يعزز من ذلك أن فنون البديع قد بدأت بسبعة عشر لونا على يد ابن المعتز، ثم تضاعفت إلى أن تجاوزت مئتين على يد أصحاب البديعيات.

ثالثا:النكات البلاغية لا تنمو دفعة واحدة:

كلما جاد المتلقي بقريحته في فهم النكات وإدراكها جادت النصوص بمكنونها، وقد يحتجب النص زمنا طويلا، ثم تتوالى عليه عقول وأقلام، فيجود بمكنونه، ومن ثم فالنكات تنمو حتى تتكاثر، ومن تأمل تلقي عبد القاهر الجرجاني لقوله تعالي: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[هود: ٤٤]. علم أن للسكاكي على ما ذكره عبد القاهر زيادات في بيان بلاغة هذه الآية، وذكر المدني أن هذه الآية قد اشتملت على ثلاثة وعشرين نوعا من البديع- أي: فيما بلغهم من العلم- وهي سبعة عشر لفظا[(١)]، ثم أفردت بلاغة هذه الآية بالتصنيف؛ ومن ذلك: "النهر المورود في تفسير آية هود؛ لمحمد بن إسماعيل الأمير"[(٢)]، والتحليل البياني

---

(١) حمل بعض المتلقين لبلاغة القول، والنداء، والأمر، والإخبار في الآية المباركة على المجاز، وفيها من اللطائف والنكات ما يغني عن ادعاء تأويلي لا دليل عليه.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل العيون، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٨م، ٦/١٠١.

لأبلغ آية في كتاب الله ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[هود: ٤٤]. للدكتور نعمان شعبان علوان، ونشر بمجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠١٠م، و**من وجوه البلاغة والإعجاز فى آية " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ"؛ للدكتور سلامة جمعة على داود، ونشر فى كتاب المؤتمر العلمي الدولي الأول بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود، محرم ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٨، ٢٩ أكتوبر، ٢٠١٤م. ومما أفرد بالتأليف من الآيات قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، قال ابن أبي الإصبع:** "وقد أفردت لهذه الآية الكريمة تأليفًا؛ استخرجت منها ستة عشر ضربًا من البديع"(١). وهذا الأمر لا يطرد، فقليلا ما نرى بلاغيا يعدد النكات البلاغية للشاهد البلاغي، ولاسيما الشعري؛ مع أنهم عدَّدوا الروادف المشتركة للمصطلحات وضبطها، فخلفوا لنا كما كبيرا منها، حتى نشأت إشكالية التداخل بينها، ولم تنبت فكرة التفريق بين تلك المصطلحات بشكل واسع ودقيق إلا على يد ابن حجة الحموي في الخزانة، ثم لاقت ثنائية النكات البلاغية وتضاعفها صدى يلمس الباحث بعضا منه في مصادر التفسير البلاغي للقرآن الكريم، وقد ذكر ابن عاشور سبب ذلك، فقال: "ومثل هذه اللطائف كالزهرة تُشَمُّ، ولا تُحَكُّ"(٢)؛ أي: ولا تمس، ومن ذلك قول الشوكاني: "في بيان التأويل البلاغي لتقديم (إِيَّاكَ) على (نَعْبُدُ) في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾: وتقديمه على الفعل: لقصد

(١) ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير، ٢٩٣/١.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية، ١٩٤٨م، ٢٩٣/١٥.

الاختصاص، وقيل للاهتمام، والصواب أنه لهما؛ ولا تزاحم بين المقتضيات"(١)، والمعنى أن التقديم يفيد الأمرين معا ولا تعارض، وقد تزيد النكات عن اثنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**﴾؛ ففيها مقابلة اثنين: (**فَلْيَضْحَكُوا/ وَلْيَبْكُوا**) باثنين: (**قَلِيلًا/ وكَثِيرًا**)، وكنايتان، قال الآلوسي: "وجوز أن يكون الضحك كناية عن الفرح، والبكاء كناية عن الغم، والأول في الدنيا والثاني في الآخرة، والنكت لا تتزاحم، فإذا عبر عن الأمر بالخبر لإفادة أن المأمور لشدة امتثاله كأنه وقع منه ذلك، وتحقق قبل الأمر كان أبلغ، وإذا عبر عن الخبر بالأمر لإفادة لزومه ووجوبه كأنه مأمور به أفاد ذلك مبالغة من جهة أخرى"(٢). وقد تتجاوز النكات البلاغية تلك الثنائية، فتتضاعف إلى أن تشغل حيزا كبيرا من الفنون البلاغية؛ كما ستبن الدراسة عنه في المبحث الثاني.

رابعا: النظرة الجزئية في التأويل عند بلاغيي التقنين:

تعتمد منهجية التأويل لدى كثير من بلاغيي التقنين على تحديد موطن الشاهد، دون النظر في علاقته بالسياق الذي نشأ فيه، والنظم الذي تعلق به، وما يزيد في حسنه من تعانق النكات، وقد خالف هذا المنهج ابن أبي الإصبع المصري، فجنح في تناوله لبعض الشواهد إلى إبراز ما اشتملت عليه من النكات؛ كما في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الليل والنهار لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[القصص: ٧٣]، فقد اقتصر فيه كثير من البلاغيين على ذكر الطباق، وتناوله ابن أبي الإصبع بالتحليل، فقال: "فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، السعودية، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، ٢٢/١. ينظر: ملح التفسير ولطائفه (٢)،https://www.attyyar.com

(٢) الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ١٥٢/١٠.

الكلام، ثم قابلهما في عجز الكلام بضدين، وهما السكون والحركة على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ الإرداف، فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائدًا على المقابلة... فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن البيان، وحسن النسق، فلذلك جاء الكلام متلائمًا آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض"(١)، ومن ذلك أيضا اقتصارهم في قوله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف:١٨] على الطباق، وقد جعله ابن أبي الإصبع من الشواهد القرآنية الدالة على التشبيه، فقال: "ومن التشبيه الذي تكون أدواته أفعال الظن واليقين ... قوله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ حاصل ذلك تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بحال الأيقاظ"(٢)، ومن ذلك تعليقه على التشبيه في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾[النور:٣٩]، فهذا بيان إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمعا في بطلان التوهم مع شدة الحاجة، ولو قيل: يحسبه الرائي ماء لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمآن أشد حرصا عليه، وأكثر تعلق قلب به، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه، فكيف تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة الألفاظ، وصحة الدلالة"(٣)، ومن الشعر تعليقه على قول أبي تمام(٤):

مَها الوَحشِ إِلَّا أَنَّ هاتا أَوانِسٌ **قَنا الخَطِّ إِلّا أَنَّ تِلكَ ذَوابِلُ**

---

(١) ابن إبي الإصبع: تحرير التحبير، ١/١٧٩.

(٢) نفسه، ١/١٦٤ بتصرف.

(٣) نفسه، ١/١٦٠.

(٤) الخطيب التبريزي؛ يحيى بن علي: شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ٣/١١٦.

فناسب حبيب بين (مها، وقنا) مناسبة تامة، وبين الوحش، والخط، وأوانس، وذوابل مناسبة غير تامة، وهذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم إليها فيه من المحاسن، فإن فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة، والمساواة، والاستثناء، والطباق اللفظي، وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين"(١). ونظير هذا عنده كثير، وعلة ابن أبي الإصبع في هذا التناول أن تكاثر النكات وتعانقها يزيد الكلام حسنا، ولذا قال في تعليقه "على بيت المتنبي:

يَرُدُّ يَدًا عَن ثَوبِها وَهوَ قادِرٌ وَيَعصي الهَوى فِي طَيفِها وَهوَ راقِدُ(٢)

وبالعدول عن الطباق اللفظي حصل في البيت الطباق والجناس معا، وما كان فيه طباق وجناس أفضل مما ليس فيه سوى الطباق فقط"(٣). وقد سلك ابن حجة ذلك المسلك في الخزانة؛ فأشار إلى التعانق البلاغي بين بعض الفنون البلاغية في معالجته لبعض القضايا البلاغية متأثرا بابن أبي الإصبع في ذلك؛ ومما أطنب فيه ابن حجة ما أسماه بالطباق المرشح: "والذي أقوله إن المطابقة التي يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمل، ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد، هو شيء سهل، اللَّهمَّ إلا أن تترشح بنوع من أنواع البديع يُشاركه في البهجة والرونق، كالتكميل، والتورية، واللف والنشر، والتضمين، فمن الطباق مع التكميل قوله تعالى: ﴿**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[آل عمران:٢٧]، ومن المطابقة باللف والنشر أيضًا، قول شيخ شيوخ حماة المحروسة: إن قومًا يلحون في حب ليلى...لا يكادون

(١) ابن إبي الإصبع: تحرير التحبير، ٣/ ٣٦٩.

(٢) أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي: الديوان، بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م، ٣١٨.

(٣) ابن إبي الإصبع: تحرير التحبير، ١٦٦/١

يفقهون حديثا؛ سمعوا وصفها، ولاموا عليها...أخذوا طيبًا وردوا خبيثًا..."، ومما اشتمل على الطباق؛ مع الجناس، والتورية، والاستعارة قول المطوعي:

أو ما ترى نور الخلاف كأنه ... لما بدا للعين نور وفاق(١)

"فالطباق بين (الخلاف والوفاق)، والجناس المحرف بين (نور بفتح النون، ونور بضمها)، والتورية في (الخلاف) المعنى القريب: ضد الوفاق، والبعيد المراد: شجر الخلاف؛ وهو الصفصاف، والاستعارة في نور الوفاق، والتشبيه على سبيل الاستطراد البديعي"(٢). ويزداد الاستطراد البديعي أو التعانق البلاغي عند من انشغل بالتفسير من البلاغيين لاختلاف نظرتهم للنص الموؤل عن نظرة رواد التقنين، حيث أوجب عليهم التفسير تتبع النظم، والسياق السابق واللاحق، وأسباب النزول، وعلاقة المطالع بالخواتيم، وبيان الإعجاز البلاغي إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن حصره، وقد جنح بعضهم إلى التطويع العقائدي في تفسيره؛ كالزمخشري، وابن عاشور، وغيرهما، فصرفوا بعض الآيات عن التأويل الصحيح الذي يعززه الاستشهاد الصحيح من القرآن والسنة، ولا سيما في باب الأسماء والصفات وغيره، والتمسوا لأنفسهم على صحة تأويلهم ما لا تطمئن إليه القلوب العامرة بغلبة الحق على الهوى. وليس من البعيد أن تتكاثر النكات البلاغية في النص الأدبي؛ وإنما يجب أن يسلم هذا التكاثر من التعقيد والابتذال، والغلو في التأويل؛ مع قدرة كل نكتة على تشكيل البناء الجمالي للنص. ومن بديع ذلك أن يكون لكل نكتة قرينة تدل عليها وتميزها عن غيرها، وقد تتحد تلك النكات في القرائن، ولكنها تختلف في التأويل البلاغي اختلافا يجعل النص الأدبي متاحا للعديد من التأويلات، وللبلاغيين في استنطاق المعاني الكامنة والنكات البلاغية ثلاث طرق:

---

(١) ابن حجة: خزانة الأدب، ١/١٦٠، وما بعدها بتصرف.

(٢) هارون، عطية: البلاغة العربية عند ابن حجة، ١٢٨.

١- الوقوف على استنطاق النكتة البلاغية في سياق الفنون البلاغة دون الالتفات إلى تكاثرها؛ كما عند بلاغيي التقنين، ولا سيما القزويني ومن تبعه.

٢- استدعاء النص الآخر لاستجلاء النكات الكامنة في النص الأول بالموازنة بينهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾، وقول العرب: القتل أنفى للقتل(١). وهذا الاستدعاء عزيزة الوقوع جدا في مصنفات بلاغيي التقنين.

٣- الاتساع في استخراج التعانق البلاغي في الآية الواحدة؛ كما عند بعض المفسرين البلاغيين؛ كالزمخشري والرازي، والبيضاوي، وابن عاشور وغيرهم.

وعلى الجملة؛ فهذه الطرق تفضي بنا إلى تطور ظاهرة التعانق الجمالي تطورا ملحوظا في مصنفات المفسرين؛ مع ندرتها في مصنفات بلاغيي التقنين.

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق: وحي القلم، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م، ١١٧٥.

المبحث الثاني: التعانق البلاغي وأثره الجمالي في تكاثر النكات في الشاهد:

تزداد جمالية النص كلما تكاثرت نكاته البلاغية وترابطت في التعبير عن المعاني الكامنة وراء حواشيه، وقد بدت هذه الظاهرة واضحة عند تأمل النص القرآني، والنبوي، والشعري، وذلك على النحو التالي:

أولا: جمالية التعانق البلاغي في الشاهد القرآني:

مما يبرهن على ثراء بلاغة القرآن أنه لا يشبع منه العلماء، ولا يبلغ آية من مثله البلغاء على مر العصور والأيام، ولذا نرى العقول متعلقة بمبانيه، سابحة في بلاغة نظمه وبحر معانيه، متطلعة إلى البحث في أسرار إعجازه؛ متشوقة إلى حسن إيجازه، وبديع إعجازه، ومع ذلك لم تنقض عجائبه بين الخلائق، ولم تنفد غرائبه عند كل طارق، وسيظل العالِم المتبحر، والمدقق المتأمل يسافر في التماس بديع نظمه وعجيب بلاغته؛ فينتهي إلى قوله تعالى: ﴿**وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إلّا قَليلاً**﴾[الإسراء:٨٥].

ومما تضافرت عليه البلاغات وتكاثرت في نظمه اللطائف والنكات قوله تعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾[النجم: ٢]؛ ففيه إيجاز حذف، وتبكيت، وتخصيص، وتنكيت، وتأكيد، وإطناب، وتكرار؛ مع حسن ترتيب، وذلك في سبعة عشر حرفا. فتقدير إيجاز الحذف "ما ضل محمد –صلى الله عليه وسلم– عن طريق الهدى"(١) الذي أراده الله عز وجل للعباد، وفي ذلك بيان لأنه "ما اعتقد باطلا قط(٢)، ومن كان في طريق الهدى، فهو عالم بالحق متبع له(٣)، وفي هذا

---

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين: زاد المسير في علم التفسير، القاهرة، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، 2002م، ١٣٦٠. بتصرف.

(٢) الآلوسي: روح المعاني،٢٧/٤٠.

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط٢، ١٩٨٠م، ٧/٧٠١.

التأويل البلاغي للحذف تنهض دلالة التعريض بمن خالفه، والتبكيت لهم يوجب عدم اتباعهم والبعد عن ملابسة حالهم؛ "ففيهم الضلال في العلم، والغي في القصد"(١). وقد دلت الآية على عِظَم قدر النبي – صلى الله عليه وسلم– في السماء والأرض بالتخصيص؛ ففيها تخصيص للنبي وتشريف له، "حيث تولى سبحانه الذبَّ عنه فيما رُمي به، بخلاف ما قال لنوح عليه السلام وأذن له، حتى قال: ﴿**لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ**﴾[الأعراف: ٦١]، وهود قال: ﴿**يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ**﴾(٢) [الأعراف: ٦٧]. وعن محمد يقول: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ**﴾، ونظير ذلك في الذب عنه قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[المسد:١]، وفي قوله صاحبكم تنكيت؛ "فلم يقل: ما ضل محمد؛ تأكيدًا لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم، وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال، ولا ينقمون عليه أمرًا واحدًا قط، وقد نبه على هذا المعنى بقوله: ﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ**﴾ [المؤمنون:٦٩]، وبقوله: ﴿**وَمَا صاحِبُكم بِمَجْنُونٍ**﴾(٣)[التكوير:٢٢]، وفي الآية إطناب بـ"عطف الخاص على العام؛ للاهتمام بشأن الاعتقاد وإيضاحه أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد لا صالحا ولا فاسدا، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا الثاني يقال

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ٨١٨.

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن: لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم بسيوني، ط٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ٤٨٠/٣.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبى بكر: التبيان في أقسام القرآن، القاهرة، مكتبة المتنبي، 1981م، ١٦٤.

له غي(١). ولم تخل الآية من التكرار، حيث "كرر (ما) لنفي الماضي، والحاضر، والمستقبل في قوله تعالى: ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكم وما غَوى﴾، حتى لا يُتصوَّر أنه نفى الجمع بينهما فقط؛ وإنما نفى الجمع بينهما والإفراد ... وفي نفي الماضي بـ (ما) دلالة على أنه هاد مهتد لم يسبق له ضلالة أو غواية في أي وقت وزمن كان"(٢). وفي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ بصيغة الماضي، وفي قوله: (وَمَا يَنطِقُ) بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن؛ أي "ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صِغَرِهِ، وَمَا غَوَى حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى، وما ينطق عن الهوى الآن، حيث أُرْسِلَ إليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم، فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا، وصار الآن منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا"(٣). وقد اشتملت هذه الآية على الوصل بين قوله: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ)، وقوله: (وَمَا غَوَىٰ)؛ للدلالة على أن بينهما صلة ومغايرة بين الضلال والغواية؛ تقتضي عدم الاقتصار على ذكر أحدهما دون الآخر. وقد قام التأويل البلاغي للآية على ثلاثة مباحث بلاغية على النحو التالي:

إيجاز حذف:	إطناب:	الوصل:
دلالة التشريف والتخصيص+ دلالة التعريض والتبكيت بمن خالفه على امتداد الزمن + دلالة التنكيت.	دلالة عطف الخاص على العام+ دلالة التكرار.	نفي الضلال عنه وإثباته لمخالفه مع نفي الغواية عنه وإثباتها لمخالفه.

(١) القنوجي، صديق بن حسن خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عبد الله الأنصاري، بيروت، المكتبة العصريَّة، صيدا، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م، ١٣/٢٤٤.

(٢) السامرائي، فاضل بن صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط٣، عمان، الأردن، دار عمار، 1423هـ، ٢٠٠٣م، ١/ ٥٠.

(٣) ابن عادل، عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٩م، ١٩٩٨م، ١٨/ ١٥٧.

فكم حوت هذه الآية من النكات البلاغية التي تساهم في الإقناع بوجوب اتباع النبي – صلى الله عليه وسلم– من خلال التكريس لبيان الحق ومنزلة من يدعو إليه في الماضي والحاضر والمستقبل؛ مع انتفاء الضلال في العلم، والغي في القصد لمن تبعه، وتحققهما فيمن خالفه. وقد ساهم التعانق الجمالي بين كل فن من الفنون التي اشتملت عليها الآية في الكشف عن المعاني الكامنة وراء حواشيها؛ فلم يكن لزخرفة ظاهرة؛ وإنما لعمق جمالي لا يتحقق فهمه بالنظرة السطحية للآية.

ومما تعانقت فيه علوم البلاغة من شواهد البلاغيين، فتكاثرت فيه النكات، قوله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾[الرحمن: ٥،٦]. ففيها إيجاز حذف، ومراعاة نظير، وتوهيم، وتقابل، وطباق خفي، وجمع، وكناية. فأما عن إيجاز الحذف؛ فقد ورد في قوله: (**بِحُسْبَانٍ، يَسْجُدَانِ**)، والتقدير: "بحسبانه ويسجدان له، ولجواز حذف ما يعلم "جرد هاتين الجملتين عما يدل على اتصال وربط بالرحمن، ولم يقل: بحسبانه ويسجدان له؛ لأن وضوح اتصاله يغني عن البيان"[(١)]، ومن ثم يتبين أنه لا حجة لمن تغافل عن قدرة الله تعالى، ولبيان عموم قدرته جمعت الآية بين المتناظرات في السماء والأرض؛ وهي: الشمس والقمر، والنجم والشجر، قال القزويني: "جمع بين الشمس والقمر؛ وهما غير متضادين"[(٢)]، وهذا يقوي من حمل النجم على النبات الذي لا ساق له"، فإن ذكر الشمس والقمر هنا يوهم أن المراد بالنجم أحد النجوم، والمراد بالنجم النبات الذي لا ساق له"[(٣)]، وعليه ينتج التقابل الخفي، والتعانق البلاغي على النحو التالي:

---

(١) الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ٢٣٢/٤.

(٢) القزويني: الإيضاح، ٤/ ١٣– ١٢.

(٣) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب، ٣٣٩/٢.

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ	وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ
مراعاة نظير	مراعاة نظير
(سماء))/حركة	(الأرض))/سكون
مقابلة/ طباق	مقابلة/طباق
جمع في شيء واحد؛ وهو الحسبان	جمع في شيء واحد؛ وهو السجود

حيث إن "الشمس والقمر سماويَّان، والنجم والشجر أرضيَّان، فبينهما تناسب من حيث التقابل"[١]، وقال الرازي: "لأنه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ذكر أرضين في مقابلة سماوين؛ ولأن قوله: ﴿**يَسْجُدَانِ**﴾ يدل على أن المراد ليس نجم السماء؛ لأن من فسر به، قال: يسجد بالغروب، وعلى هذا فالشمس والقمر أيضا كذلك يغربان، فلا يبقى للاختصاص فائدة، وأما إذا قلنا: هما أرضان، فنقول: ﴿***يَسْجُدَانِ***﴾"[٢]، وقد أدخل كل شيئين في نوع واحد، فأدخل الشمس والقمر في الحسبان، والنجم والشجر في السجود، إدخالا لا يفهم منه التفرقة بينهم؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾، وبفكر ورويَّة يتبين لنا أن مراعاة النظير والجمع يساهمان في التعانق البلاغي للطباق والمقابلة، ومنهما نلمس الكناية، "فالحسبان كناية عن انتظام سيرهما انتظاما مطردا لا يختل حساب الناس له والتوقيت به...، وفيها طباق بين السكون والحركة: فحصل من قوله ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ بعد قوله: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ قرينتان متوازيتان في الحركة والسكون، وهذا

(١) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ١٨/ ٣٠٠.
(٢) الرازي، محمد: التفسير الكبير، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ٢٩/٩٠.

من المحسنات البديعية الكاملة(١). وقد ألحق الحسبان بالشمس والقمر وهما متحركان ن وألحق السجود بالنجم والشجر وهما ساكنان؛ للدلالة على بيان قدرة الله سبحانه وتعالى فيما يعجز عنه الخلق في الشيء وضده، فلا يسع المرء إلا أن يقول: سبحانك ما خلقت هذا باطلا.

ومن الشواهد التي تكاثرت فيها اللطائف البلاغية، ولم تتدافع قوله تعالى: **﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الليل والنهار لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [القصص: ٧٣]، ففي الآية احتباك، ولف ونشر مرتب، وجمع ثم تفريق، ومقابلة، وكناية، وتنكيت، وتعليل...، فمن إيجاز الحذف أن الآية من "الاحتباك، ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعي في المعاش ثانيا، والابتغاء ثانيا دليلا على حذف عدم السعي في المعاش أولا"(٢)، وحذف الضمير وجارَّهُ إيجازًا، والتقدير: "ولِتَبْتَغُوا من فضْله فيه، اعتمادًا على المقابلة"(٣)، وفي الحذف بيان لتعدد نعم الله على الخلق في الليل والنهار. كما أن الآية "على طريقة اللف والنَّشْرِ المرتب"(٤)، فأضاف السكون إلى الليل؛ لأن حركات الخلق تسكن ليلا لأجل النوم... وأن الابتغاء مضاف إلى النهار لما يظهر فيه من الحركة، ولم يقل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا من فضله، إيثارا لما يظهر في اللف بعده النشر، من البلاغة وحسن التأليف"(٥). قال ابن حجة: "فانظر إلى مجيء

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير،٢٧/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ١٤/٣٤٥.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٧١.

(٤) نفسه، ٢٠/ ١٧١.

(٥) العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وتدقيق: محمد عبد السلام، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت، ٣٩٢.

الليل والنهار في صدر الكلام، وهما ضـدان، ثم قابلهمـا فـي عجـز الكـلام بضدين، وهما السكون والحركة، على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ مرادف، فاكتسب الكلام بذلك ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة[١]، وفيها كنايـة، ففـي "الابتغاء من فضل اللّه كناية عن العمل والطلب لتحصيل الرّزق، قـال تعـالى: ﴿وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ في الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠]. والـرّزق: فضل من اللَّه"[٢]. وفيها تنكيت بالعدول عن الحركة إلى الابتغاء؛ "لكـون الحركـة تكون لمصلحة، ومفسدة، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة، وهي تشير إلى الإعانة بالقوة، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقـل، وسـلامة الحـس، وإضافة الطرف إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه، ليهتدي المتحـرك إلـى بلوغ المآرب، ويتقي أسباب المهالك. والآية الكريمة سيقت للاعتداد بالنعم، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه، ليتم حسـن البيـان، فتضـمنت هـذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح، التي لو عـددت بألفاظهـا الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة، فحصل في هذا الكلام، بهذا السبب، عدة ضروب من المحاسن. ألا ترى الله سبحانه وتعالى كيـف جعـل العلة في وجود الليل والنهار، حصول منافع الإنسان، حيث قال لتسكنوا ولتبتغـوا (بلام التعليل!)، فجمعت هذه الكلمات مـن أنـواع البـديع: المقابلـة، والتعليـل، والإشارة، والإرداف، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن البيان، وحسـن النسـق، فلذلك جاء الكلام متلائما، آخذا بعضه بأعناق بعض، ثم أخبرنا بالخبر الصـادق: إن جميع ما عدَّده من النعم باللفظ الخاص، وما تضمنته العبارة من الـنعم التـي تلزم من لفظ الإرداف، بعض رحمته، حيث قال بحرف التبعيض: "ومن رحمتـه".

(١) ابن حجة: خزانة الأدب، ١/١٢٩، ١٣٠.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٧١.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

وهذا كله في بعض آية عدتها عشر كلمات، فالْحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة"(١). وبذلك يساهم التعانق البلاغي بين الطباق الخفي والتنكيت في توجيه عقل المتلقي إلى أن النهار لا يكون إلا في المصلحة، ولا يعني ذلك قصر المصلحة على النهار؛ لما في الليل من السكن البدني والاجتماعي، وفي قوله: وهذا كله في بعض آية عدتها عشر كلمات؛ بيان لتكاثر النكات فيما قل لفظه مما جاء بعضه آخذا بأعناق بعض، وذالك على النحو التالي:

<table>
<tr><td colspan="8">إيجاز قصر: (المنافع والمصالح على امتداد الزمن)</td></tr>
<tr><td>وَمِن</td><td>رَّحْمَتِهِ</td><td>جَعَلَ لكم</td><td>الليل</td><td>والنهار</td><td>لِتَسْكُنُواْ فِيهِ</td><td>وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ</td><td>وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ</td></tr>
<tr><td colspan="3" rowspan="3">مقدمة/ بعض رحمته</td><td colspan="2">ضدين/طباق</td><td colspan="2">ضدين/طباق خفي+ إيجاز</td><td>نتيجة</td></tr>
<tr><td colspan="2">لف(جمع).</td><td colspan="2">نشر(تفريق)+ تعليل+ كناية.</td><td rowspan="2"></td></tr>
<tr><td colspan="4">مقابلة اثنين باثنين على الترتيب (حسن ترتيب)</td></tr>
</table>

ومما تكاثرت فيه النكات البلاغية قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٩٠]؛ ففيها الإيجاز بنوعيه، وصحة التقسيم، والتقديم والتأخير، والإطناب، والإبهام، والطباق اللفظي المتجانس، وحسن ترتيب...؛ "فحذف مفعول (يأمر)، (وينهى)؛ لقصد التعميم(٢)؛ أي ليشمل جملة المكلَّفين ممن يعقل ويسمع على الدوام، ومن إيجاز القصر؛ أنه "جمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضا

---

(١) ابن حجة: خزانة الأدب، ١/١٣٠.

(٢) الشنقيطي: أضواء البيان، ٣/٢٤٩.

ونفلا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموما وخصوصا"(١)، فهي جامعة أصول التشريع في الأمر بثلاثة، والنهي عن ثلاثة، بل في الأمر بشيئين وتكملة، والنهي عن شيئين وتكملة. وعن ابن مسعود: أن هذه الآية أجمع آية في القرآن"(٢) للخير والشر، ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى"(٣). وقد ساهم إيجاز الحذف في تحديد المأمور والمنهي، وكشف إيجاز القصر عما يتصل بالتكليف، والأخلاق والآداب؛ ومن ثم تعانق الإيجاز بنوعيه للكشف عن المعنى الكامن وراء حواشيه. وبذلك صحة التقسيم: "فقد استوفى جميع أقسام المعنى؛ فلم يبق معروف إلا وهو داخل في نطاق الأمر، ولم يبق منكر إلا وهو داخل في حيز النهي، وقدم ذكر العدل؛ لأنه واجب، وتلاه بالإحسان؛ لأنه مندوب؛ ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب، وقرنهما في الأمر؛ لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب والنوافل، وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من أمر بمعاملته بالعدل والإحسان؛ لبيان فضل ذي القربى وفضل الثواب عليه"(٤). وهذا من ذكر الخاص(ذوي القربى) بعد العام (الأمر بالإحسان) في الإطناب، وفيها إطناب من نوع آخر؛ وهو الإبهام؛ قال ابن عطية: "﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ لفظة تقتضي صلة الرحم، وتعم جميع إسداء الخير إلى القرابة. وتركه مبهما أبلغ؛ لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية – وإن علت– يرى أنه مقصر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذي القربى داخل تحت العدل

(١) الرازي: التفسير الكبير، ١٠٢/٢٠.
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤/ ٢٥٨، ٢٥٩.
(٣) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، القاهرة، دار المصحف، د.ت، ١٣٦/٥.
(٤) درويش، محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط٧، دار ابن كثير، ١٩٩٩م، ٢٩٠/١٤.

والإحسان، لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به وحتما عليه"(١). وفيها طباق لفظي متجانس بين الفعل يأمر والفعل ينهى، ومعنوي في قوله: "العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وقوله الفحشاء والمنكر والبغي؛ فإن الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأوائل من الفعل الحسن والأواخر من القبيح، فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية... وفيها حسن ترتيب في النظم؛ حيث "رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات في العطف بحيث لم يتأخر في الكلام ما يجب تقديمه، ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيره"(٢). ويمكن بيان التعانق البلاغي كما يلي:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ			
يَأْمُرُ	بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى	وَيَنْهَى	عن الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ
طباق/لفظي	الفعل الحسن (ثلاثة)	طباق/لفظ	الفعل القبيح (ثلاثة)
مقابلة الفعل الحسن بالفعل القبيح			
الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأوائل من الفعل الحسن، والأواخر من القبيح			
إيجاز قصر: الآية جامعة لأصول التشريع في الأمر بثلاثة، والنهي عن ثلاثة.			

ومما وقع فيه التعانق البلاغي قوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٨]؛ ففيها تشبيه، وإيجاز، وتقديم وتأخير، وتفريع، وحسن ترتيب... قال ابن عاشور: الإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه

---

(١) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، ط٢، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م، ١٤/ ٤٠٠.

(٢) ابن النقيب، أبو عبد الله جمال الدين: الفوائد المشوق في علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق: عطية الغول، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ١٠١. وفي نسبة الكتاب لابن قيم الجوزية نظر، لأن من خبر كلام ابن قيم الجوزية، ومارس أسلوبه، وعلم منهجه أدرك أنه ليس له، ينظر: علي، زكريا سعيد: مقدمة تفسير ابن النقيب والمطبوع خطأً بعنوان: (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) https:www.alukah.net

البليغ؛ شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمي؛ أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث[١]، فقد تعطلت وسائل تلقي الحق الثلاث، فلم يبق لهم سوى الضلال المبين، وجميعها" أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير ﴿مثلهم﴾ [البقرة: ١٧]. قال ابن جرير: "صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُم لَا يَرجِعُونَ من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الكلام: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين صُمٌّ بُكْمٌ عُمْي فَهُم لَا يَرجِعُونَ"[٢]، وقال البقاعي: "ولما كان في مقام إجابة الداعي إلى الإيمان؛ قدم السمع؛ لأنه العمدة في ذلك، وثنى بالقول؛ لأنه يمكن الأصم الإفصاح عن المراد، وختم بالبصر؛ لإمكان الاهتداء به بالإشارة"[٣]. وقال ابن عاشور: وقوله: ﴿**فَهُم لَا يَرجِعُونَ**﴾ تفريع على جملة ﴿**صُمٌّ بُكمٌ عُمي**﴾؛ لأن من اعتراه هذه الصفات انعدم منه الفهم والإفهام، وتعذر طمع رجوعه إلى رشد أو صواب[٤]. وفي تقديم أسباب تعذر الاستجابة على انتفاء الرجوع بيان لمنزلة هذه الأعضاء وأهميته في بلوغ الحق وتقرير الحجج.

ومما تكاثرت فيه النكات البلاغية، وتعانقت قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]. ففيها أمران، وتعليل، ونهيان، وتشبيه، وكناية، وإيجاز حذف، وإطناب، وحسن ترتيب ... فأما عن الأمرين؛ فأحدهما مقرون بالتبعيض؛

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/٣١٣.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخريج وتعليق: إسلام منصور، وآخرون، القاهرة، دار الحديث، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ١/٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) البقاعي: نظم الدرر، 1/١٢١.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١/٣١٤.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

وهو **(اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ)؛ أي ما لا يرقى إلى اليقين بدلائله، ثم جعل الأمر الثاني وقاية من كثرة الظن والتجسس والغيبة؛ فقال: (وَاتَّقُوا اللَّهَ)، وعجل بعلة الأمر الأول، فقال: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)؛ لأنه مقدمة لما ورد بعده في الآية من النهي عن التجسس والغيبة، وعضد ذلك كله بصورة تشبيهية كالعقد المتلائم؛ لحمل المتلقي على هجر هذا الذنب الشنيع**، قال ابن القيم في تزاحم جزئيات التشبيه، وتناظرها، وترابطها: "وهذا من أحسن القياس التمثيلي؛ فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت، ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن ذمه، كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب متمتعا بعرض أخيه، متفكها بغيبته وذمه، متحليا بذلك، شبه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به، شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا، ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه[(١)]، ويمكن بيان ما يتناظر فيه الطرفان في الصورة التشبيهية على النحو التالي:

المشبه	الأداة	المشبه به
تمزيق عرض الأخ	كا	تمزيق لحمه ميتا
غياب الأخ	...	غياب روحه عنه بالموت
العجز عن الدفع	...	العجز عن الدفع عن نفسه
التمتع بالغيبة	...	التمتع بأكل لحم الأخ ميتا

(١) ابن قيم الجوزية: التفسير القيم، ٢١٢/١.

مستقذر	...	مستقذر
فَقَدْ كَرِهْتُمُوهُ	...	فَقَدْ كَرِهْتُمُوهُ
فَلا تَفْعَلُوا	...	فَلا تَفْعَلُوا

ومن تأمل المتناظرات وجدها تبنى على التلازم الكنائي، ومن ثم قال ابن الأثير: "فإنه كنى عن الغيبة بأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله... [١]. وفي الآية إيجاز حذف؛ قال الشوكاني: "قال الفراء: تقديره: "فَقَدْ كَرِهْتُمُوهُ فَلا تَفْعَلُوا، والمعنى: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا ...، وقال أبو البقاء: "هو معطوف على محذوف تقديره: عرض عليكم ذلك، فكرهتموه"[٢]، وقال ابن جزي: "فقال لهم: فكرهتموه، وبعد هذا محذوف تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه، وحذف هذا لدلالة الكلام عليه[٣]، فاشتملت الآية على تشبيه مركب تحتوي جزئياته على التلازم الكنائي، حيث يلزم من تمزيق العرض الغياب، ومن الغياب عدم القدرة على الدفع عن النفس، ويلزم من ذلك تمتع المغتاب بالغيبة كالتمتع بأكل اللحم، وبذلك حسنت الزيادة في اللفظ، فتعانق الإيجاز مع الإطناب، قال البقاعي: "وزاد في التنفير بجعله في إنسان هو أخ، فقال: ﴿لحم أخيه﴾[٤]، ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتًا؛ لأن الجيفة مستقذرة"[٥]، ومن ثم يتشكل التشبيه والكناية من البنية التكوينية للإيجاز والإطناب، ومن حسن الترتيب أن في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة، بيانها هو أنه تعالى قال: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا**﴾ أي: لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن، ثم إذا سئلتم على المظنونات، فلا

---

(١) ابن الأثير: المثل السائر، ٦٢/٣.

(٢) الشوكاني: فتح القدير، ٨٠/٥.

(٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل،٢/ ٣٥٩.

(٤) البقاعي: نظم الدرر، ٣٥٩.

(٥) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٣٥٩.

تقولوا: نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها، ثم إن علمتم منها شيئا من غير تجسس، فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ولا تعيبوا، ففي الأول نهي عما لم يعلم، ثم نهي عن طلب ذلك العلم، ثم نهي عن ذكر ما علم[١]، وهذا على الاستلزام فخوض المرء فيما لم يعلم يستدعي الظن، وطلب العلم يستدعي السؤال عن المظنونات، وذكر ما يعلم يستدعي الغيبة، ومن ثم نهى عن ذلك كله، فقال: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ قال ابن عاشور: ولم يقل: اجتنبوا الغيبة؛ لقصد التوطئة للتمثيل الوارد في قوله: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾؛ لأنه لما كان ذلك التمثيل مشتملا على جانب فاعل الاغتياب ومفعوله مهد له بما يدل على ذاتين؛ لأن ذلك يزيد التمثيل وضوحا"[٢]. وقال ابن عاشور: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ عطف على جمل الطلب السابقة ابتداء من قوله: ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ وهذا كالتذييل لها؛ إذ أمر بالتقوى وهي جماع الاجتناب والامتثال، فمن كان سالما من التلبس بتلك المنهيات، فالأمر بالتقوى يجنبه التلبس بشيء منها في المستقبل، ومن كان متلبسا بها أو ببعضها، فالأمر بالتقوى يجمع الأمر بالكف عما هو متلبس به منها[٣]. قال ابن عطية: "وقال الرماني: كراهية هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهية الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب؛ لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل" [٤].

ومن التعانق البلاغي الذي تكاثرت فيه النكات قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾[هود: ٢٤]. ففيها طباق ظاهر وخفي، ومقابلة، ولف ونشر مرتب، وإجمال بعد تفصيل،

(١) الرازي: التفسير الكبير، ٢٩/ ١٣٦.
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٦/٢٥٥.
(٣) نفسه، ٢٦/٢٥٧.
(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز، ٢٦/٢٢.

وتوشيع، وأربعة تشبيهات، وثلاث كنايات... قال الألوسي: "ولا يخفى ما فيه من الطباق بين (الأعمى والبصير، والأصم والسميع)، وقدم ما للكافرين قيل: مراعاة لما تقدم؛ ولأن السياق لبيان حالهم، وقدم الأعمى على الأصم؛ لكونه أظهر وأشهر في سوء الحال منه. وفي البحر المحيط إنما لم يجئ التركيب كالأعمى والبصير، والأصم والسميع؛ ليكون كل من المتقابلين على إثر مقابله؛ لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع، وذلك هو الأسلوب في المقابلة والأتم في الإعجاز"(١). ويمكن توضيح التعانق البلاغي على النحو التالي:

الفريق الأول (الكافرين)	الفريقان (توشيع)	الفريق الثاني (المؤمنين)
أعمى(انسداد البصر)	طباق/ ظاهر	بصير(انفتاح العين)
أصم (انسداد السمع)	طباق/ ظاهر	سميع (انفتاح السمع)
الإعراض/ العصيان	طباق/ خفي	الإقبال /الطاعة
المقابلة ما للفريق الأول بما للفريق الثاني، وفي لفهما (إجمال) وفي ترتيب أوصافهما تفصيل أو (نشر مرتب) وقد تضمن اللف والنشر توشيعا.		

وعن ترتيب الحالين، فقد قال ابن عاشور: "وترتيب الحالين المشبه بهما في الذكر على ترتيب ذكر الفريقين فيما تقدم ينبئ بالمراد من كل فريق على طريقة النشر المرتب، والترتيب في اللف والنشر هو الأصل والغالب. وفي مقابلة: الأعمى والأصم بالبصير والسميع محسن الطباق"(٢). وقد ساهم التعانق البلاغي

(١) الآلوسي: روح المعاني، ٦/٢٣٥.
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٢/ ٤١، ٤٣.

بين (الطباق، والمقابلة، والتوشيع، واللف والنشر المرتب، والتفصيل بعد الإجمال) في تكوين أربعة تشبيهات، وثلاث كنايات، وذلك على النحو التالي:

الفريق الأول (الكافرين)			الفريق الثاني (المؤمنين)	
المشبه	المشبه به		المشبه	المشبه به
(١)الكافرون في تخبطهم وتعاميهم عن الحق	كالأعمى في تخبط مسلكه في الطريق		(٣) المؤمنون في بصيرتهم	كالبصير في وضوح رؤيته لمعالم الطريق
(٢) الكافرون في انسداد سمعهم عن الحق	كالأصم في انسداد سمعه عن التلقي		(٤) المؤمنون في انفتاح	كالسميع في انفتاح سمعه لتلقي الحق
الخسران المبين/ العذاب			الفوز العظيم/ الجنة	
الأعمى والأصم كناية عن الكافرين			البصير والسميع كناية عن المؤمنين	

قال الآلوسي: وقد يعتبر التشبيه تمثيليا بأن ينتزع من حال الفريق الأول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد إلى مقصده سبيلا، وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة تشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي إلى سبيله وينال مرامه"(١). وفي قوله الأعمى والأصم كناية عن الكفار، وفي البصير والسميع كناية عن المؤمنين، قال ابن عاشور: "جملة: هل يستويان مثلا؛ كناية عن التفضيل والمفضل منهما معلوم من المقام، أي معلوم

(١) الآلوسي: روح المعاني، ٦/٢٣٥.

تفضيل الفريق الممثل بالسميع والبصير على الفريق الممثل بالأعمى والأصم والاستفهام إنكاري. ومن التوشيع قوله: مثل الفريقين؛ فقد فسره بمعطوفين، فقال: كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ في بيان حال الكافرين، وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ في بيان حال المؤمنين، وفيها تفصيل بعد إجمال بالتوشيع وإجمال بعد تفصيل بقوله: هل يستويان" فالأعمى والأصم والبصير والسميع أربعة ألفاظ، ومعناهما اثنان، ولذا قال: هل يستويان مثلا"(١).

ومن شواهد البلاغيين المشتملة على فنون من البلاغة قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ [الإسراء:٢٩] فيها استعارتان، وتمثيلان، وكنايتان، وطباق، ولف ونشر مرتب... قال القاسمي: "ففي النهيين استعارتان تمثيليتان؛ شبه في الأولى فعل الشحيح في منعه، بمن يده مغلولة لعنقه، بحيث لا يقدر على مدها، وفي الثانية شبه السرف ببسط الكف بحيث لا تحفظ شيئا، وهو ظاهر. وذكر ابن كثير أن قوله تعالى : ﴿**فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ من باب اللف والنشر المرتب"(٢) قال ابن عاشور: "وقوله ﴿**فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ جواب لكلا النهيين على التوزيع بطريقة النشر المرتب، فالملوم يرجع إلى النهي عن الشح، والمحسور يرجع إلى النهي عن التبذير، فإن الشحيح ملوم مذموم"(٣). وقال ابن جزي: "﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ**﴾ استعارة في معنى غاية البخل؛ كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء، وشدت إلى عنقه ﴿**وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ**﴾ استعارة في معنى غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين: وأمر بالتوسط بينهم"(٤)، وقال أبو حيان: وطابق في الاستعارة

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٤٣/١٢.

(٢) القاسمي: محاسن التأويل، ٦/ ٤٥٧..

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٥/ ٨٥.

(٤) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ٤٨٦/١.

بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى؛ لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها، وغلها أبلغ في القبض، وقد طابق بينهما أبو تمام، فقال في المعتصم:

تعـوّدَ بسْـطَ الكفِّ حتى لو أنه ... ثناها لقبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أنامِلُهُ(١)

وقال السعدي: وقال هنا: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ**﴾ كناية عن شدة الإمساك والبخل(٢). **ونظير هذا التكاثر في القرآن كثير، لكنه يحتاج إلى من ينكته؛ ليستخرج ما اشتمل عليه من اللطائف المليحة والتأويلات الصحيحة.**

ثانيا: التعانق البلاغي في الحديث النبوي:

لا يفتأ الباحث في نظم السُّنَّة يذكر من بلاغة النبوة ما يعضد من ثراء إيجازها، وجودة نظمها، وحجية أمثالها، ورفعة بيانها مع ما في ذلك كله من جوامع الكلم المبين، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْرُدُ سرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إليه(٣)؛ لوضوح معانيه وقلة مبانيه، "وَلَوْ عدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ"(٤). وقد تعلقت تراكيبه الفريدة بالأذان، فجرت بذكرها الألسن والأقلام، ومن ذلك قوله: "رُفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف(٥)، قال الخطابي: "... ومن فَصَاحَته أنَّه تكلَّم بألفاظ اقتضبها، لم تُسْمع من العرب قبله، ولم توجد في متقَدِّمِ كلامها، كقوله: مات

---

(١) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1431هـ، 2010م، ٤٢/٧.

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ٤٥٦.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى: الشمائل المحمدية، تحقيق: عبده كوشك، المنامة: مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، د.ت، ١٤٦.

(٤) البخاري، أبو عبد الله: صحيح البخاري، بيروت، المكتبة العصريَّة، ١٤٣٢هـ، ٦٢٧، ح ٣٥٦٧.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي، ترقيم: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة، مكتبة الصفا، ٢٠١٤م، ٤٤٥، ح رقم(٢٥١٦).

حَتْفَ أنفه، وحَمِي الوَطِيس، ولا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين"[١] إلى غير ذلك مما لا تشبع الفِطَر السليمة من الطمع فيه.

ومما تكاثرت فيه النكات الجمالية، واقتصر البلاغيون فيه على ذكر الطباق حديث: "إنّكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ"[٢]، ففيه إيجاز قصر، ومقابلة، وطباق خفي، وكنايتان، ووصل، وتقديم. فأما عن إيجاز القصر، فقد جمع في وصف الأنصار صفتين من أنبل الصفات وأرقاها، ففي الأولى تذكية للأنصار في نفوس الأقوياء والضعفاء، وفي الثانية تذكية لهم في نفوس الأغنياء والفقراء، وبهما ملاك المحبة والفلاح، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر:٩].. وقد طابق بين: (تكثرون، وتقلون)، طباقا ظاهرا، يوحي سياقهما بتوظيف الضدين توظيفا ممدوحا في لفظ قليل ومعنى كثير، وبين الجملتين وصل؛ للدلالة على تحقق الصفتين معا، وعلى درجة واحدة، فليسوا في واحدة بأعلى من الأخرى، ولذا جاء بالفعل المضارع (تكثرون/ تقلون)؛ للدلالة على التجدد والاستمرار، ولا يحس السامع بشيء من التكلف في جرس صوت العين في قوله: (الفزع والطّمع). وأما عن الكنايتين؛ فقد كنى عن النصرة والإغاثة في السراء والضراء بقوله: إنّكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ، وعن الزهد في حطام الدنيا الزائل؛ بقوله: وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ. وقدم النصرة والإغاثة على الزهد

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، وآخرون، المكتبة العصرية، د.ت، ١/ ١٦٥.

(٢) الحديث رواه الواقدي عن ابن أبي حبيبة، والواقدي متروك الحديث مع سعة علمه، ينظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ١/ ٦٨٢.

في الذكر؛ لأن إيثار الآخر على النفس أمدح وأبقى، لتعدي أثره للغير، ونظير هذا قول عنترة:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي   أَغْشَى الوغى وَأَعِفّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ[(١)]

ومما تعانقت فيه النكات البلاغية تعانقا جماليا من شواهد البلاغيين حديث: "إيَّاكُم وخضراءَ الدِّمَنِ؛ فقيلَ: وما خَضراءُ الدِّمنِ؟ قال: المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السُّوءِ"[(٢)]؛ ففيه، إطناب؛ واستعارة، وكناية، وطباق خفي، فأما عن الإطناب، فمن الإيضاح بعد الإبهام؛ لقولهم: وما خَضراءُ الدِّمنِ؟ وفي الجواب تفسير للكناية وللاستعارة التصريحية، حيث شبه المرأة الحسناء في المنبت السوء بالشجرة الخضراء التي تنبت في الأبعار؛ فيخضر أعلاها ويقذر منبعها، وفي ذلك تحذير وترهيب من الانخداع بما حسن ظاهره وقبح باطنه من مفاتن الدنيا، وهذا من باب الطباق الخفي الذي يدق ويغمض على من عظم عليه التأمل، كما يغمض المنبت السوء للمرأة الحسناء على البلهاء. وقيل: "رشح لذلك التشبيه بذكر الدمن، فهي استعارة بالكناية يتبعها استعارة ترشيحية"[(٣)]. وقال العلوي: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: إياكم وخضراء الدمن؛ وهذا تحذير، وكنى بقوله: (خضراء الدمن)عن المرأة الحسناء في المنبت السوء؛ وإنما كنى بذلك عنها، لما فيه من

---

(١) ابن شداد، عنترة: الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م، ١٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ٣٠٤/٥، مادة: دمن. قال الخطابي: قال عدي: تفرد به الواقدي وهو ضعيف، وذكره أبو عبيد في الغريب، وقال الدارقطني: لا يصح من وجه. ينظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ، ٢٧٢/١.

(٣) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد: الإفصاح عن أحاديث النكاح، تحقيق: محمد شكور، ط١، عمان، الأردن، دار عمار، ١٤٠٦ه، ١٨/١.

المناسبة لأمرين، أما أولا فلأن أول عشرتها يكون حسنا موافقا، ومن بعد ذلك تعود إلى الفساد والرداءة، كزرع المزابل، فإنه يعجب أولا، ثم يذبل ويجف ويزول على القرب، وأما ثانيا فلأن غضارتها ورونقها قليلة، وعن قريب وقد صارت مقحلة ذات ذبول(١). وقد أخذ هذا المعنى زفر بن الحارث، فقال:

•وقد يَنْبُتُ المَرعَى على دِمَنِ الثّرى **وتَبْقَى حَزَازاتُ النُّفُوس كما هِيا(٢)**

ومما تضافرت عليه الفنون البلاغية وتعانقت في الكشف عن معناه قول النَّبيَّ ﷺ: "إِنَّما مثَلُ الجليس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً"(٣)، فقد جاء البناء التركيبي للصورة التشبيهية متضمنا القصر، والإطناب، والسجع، والمقابلة، والتعميم، والتقديم في الذكر، حيث شبه الصحبة الصالحة بشيء محسوس؛ وهو حامل المسك؛ للدلالة على أثره الطيب على حامله ومصاحبه، وخص المسك بالذكر للدلالة على شدة تعلق الأنوف به وتطلع النفوس إليه، فإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وشبه الصحبة السيئة بشيء محسوس؛ وهو نافخ الكير؛ "والكير: جِلدٌ غليظٌ له حوافّ يَنفخُ فيه الحَدَّاد، وَالجَمْعُ أَكْيارٌ وكِيَرة"(٤)؛ للدلالة على أثره السيء على حامله ومصاحبه، فإِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً، وخص نفخ الكير بالذكر للدلالة على أثره في نشر الشر وتأجيجه بين الناس، واستهل الصورتين بالقصر بـ (إنما) دون النفي والاستثناء فيما لا يجهله الناس ولا ينكروه من المحسوسات، وجعل الصورتين في تقابل؛ ليحتج على

---

(١) العلوي: الطراز، ٢٠٦/١
(٢) الكلابي، زفر بن الحارث: الديوان، تحقيق: رضوان محمد النجار، مج١١، ع٣٣، الأردن، ١٩٨٧م، ٢٥٩.
(٣) أخرجه البخاري، ٥٥٣٤.
(٤) ابن منظور: لسان العرب، ١٤٢/١٣، مادة: كير.

الترغيب في الصحبة الصالحة باستدعاء ضدها في سياق الموازنة بينهما، "فمحاذاة المعاني بعضها ببعض، والتقريب بينها في الحيز الذهني والتأويلي، عبر مواجهتها (وجها لوجه) يحدث تجاوبا ما، أو تفاعلا معرفيا، أو دلاليا وتأويليا"[١]، وعم الكلام اختلاف أثر الصحبتين، وقد قدم الصحبة الصالحة على الفاسدة للاهتمام.

ومن التعانق الجمالي الذي يقترب مما ذكرنا قوله ﷺ: "إن مِنَ النّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْه"[٢]؛ ففيه جودة نظم الصور، ومقابلة، وإطناب. فلمَّا قسَّم حال الناس إلى صنفين، ناسبه أن يأتي بـ (من) للتبعيض؛ فقال: إن من الناس، ثم قال: مفاتيح للخير، فشبه الخير بباب له مفتاح، وشبه الشر بباب آخر له مفتاح، وفرق بينهما في المشبه (من الناس)، والمشبه به (مفاتيح خير/ مفاتيح شر)، وقد دل على هذا التفريق بالدعاء للصنف الأول (مفاتيح خير) والدعاء على الصنف الثاني (مفاتيح شر) في تقابل بين الصورتين، فقرب بين المعاني في الحيز الذهني؛ ليكون أبدع في الاحتجاج للصنف الأول والترغيب فيه والابتعاد عن الصنف الثاني والتحذير منه، فقال: فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْه.

ومن فرائد النبوة تشبيه النساء بالقوارير في قوله صلى الله عليه وسلم: *يَا أَنجَشَةُ* رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ[٣]؛ ففيه فريدة، وكناية، وتشبيه، واستعارة، وتعريض؛ فأما

(١) بازي، محمد: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ، ٩. بتصرف

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمود نصار، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، رقم (٢٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/٣٠٩.

(٣) لفظ (رفقا بالقوارير) في فتح الباري لابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ،(١٠/٥٩٤). وبعدة ألفاظ عند البخاري: يَا أَنْجَشُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالقَوَارِير، وارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ، وَيْحَكَ بِالقَوَارِيرِ، ورُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ. صحيح البخاري: ٨/ ٣٥ رقم ٦١٤٩ ، ٨/ ٣٨ رقم ٦١٦١ ، ٨/ ٤٧ رقم ٦٢٠٩، رقم ٦٢١٠.

عن الفريدة فقوله: القوارير، قال ابن هبيرة: "هذه اللفظة من أحسن ما عبر بها عن النساء"(١) "فهذه كناية لطيفة، وإنما كنى عنهن (بالقوارير) لأمور ثلاثة، أما أولا فلما هن عليه من حفظ الأجنة، والوعاء كالقارورة تحفظ ما فيها، وأما ثانيا فلاختصاصهن بالصفاء والصقالة، والحسن والنضارة، وأما ثالثا فلما فيهن من الرقة والمسارعة إلى التغير والانثلام، كما يتسارع الانكسار إلى القارورة لرقتها، وهذا الوجه هو الذى يومئ إليه كلام الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– حيث قال له: "رفقا بالقوارير في حديث غير هذا"(٢). قال **الرافعي**: فإنك تقرأ ما جمع من الكلام النبوي؛ فلا تصيب فيه ما تصيبه في بلاغة أدباء العالم مما فنُّه الكلام في المرأة والحب وجمال الطبيعة، وهو في بلاغة الناس كالقلب في الجسم، لا تخلو منه ولا تقوم إلا به، حتى تجد الكلام في المرأة وحدها شطر الأدب الإنساني، كما أن المرأة هي شطر الإنسانية، ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم في هذه الأغراض إلا كلمات بيانية جاءت بما يفوق الوصف من الجمال والدقة، متناهية في الحسن، طاهرة في الدلالة، يظهر في وجه بلاغتها ما يظهر في وجه العذراء من طبيعة الحياء والخَفَر، كقوله في النساء: **(رفقا بالقوارير)**، فالنساء شأنهن الرِّقّة واللطافة وضعف البنية، والكناية **(القوارير)** يراد منها لازم المعنى، فكأنما قيل: رفقًا بالضعيفات المحمولات على المطايا، إذ السَّوْق الشديد في صحبتهنِّ أو العنف في معاملتهن؛ فيه قلق للراكبات المُكَرَّمات وزعزعة تحول دون راحتهنَّ وما افترض لهنَّ (عقلا، روحا، جسدا...)، من فرْض الرعاية التامة والصيانة العامَّة، تأهيلا لهن للاِضْطلاع بالمهمّة الإنسانية الجليلة التي خُلقن لأدائها في

(١) ابن هبيرة، يحيى بن هُبَيْرَة: الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الرياض، دار الوطن، ١٤١٧هـ، ٥/ ١٥٥.
(٢) العلوي، الطراز، ٢٠٦/١.

تحمل عِبْء الحياة، خاصة في زمن الاحتراز الزوجي (ميثاق الزوجية) وما يفرضه من الصبر والجلد والمكابدة في تأدية الحقوق وما إليه...[١] وهذه الكناية من فرائده التي سافرت في جدتها العقول، وتتضافرت عليها التأويلات في اقتناص وجوه الشبه بين المرأة والقارورة، قال ابن حجر: "قال الرامهرمزي كنى عن النساء بالقوارير؛ لرقتهن وضعفهن عن الحركة. وجزم بن بطال بذلك؛ فقال: القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر الحادي بالرفق في الحداء؛ لأنه يحث الإبل حتى تسرع فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويدا أمن على النساء السقوط. قال: وهذا من الاستعارة البديعة؛ لأن القوارير أسرع شيء تكسيرا.. وفيه تشبيه؛ فالنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية، وقيل: المعنى سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل. وقال غيره: شبههن بالقوارير؛ لسرعة انقلابهن عن الرضا وقلة دوامهن على الوفاء كالقوارير يسرع إليها الكسر ولا تقبل الجبر، وقد استعملت الشعراء ذلك؛ قال بشار:

ارفُق بِعمروٍ إِذا حَرّكتَ نِسبَتَهُ   فَإِنّهُ عَرَبِيٌّ مِن قَواريرِ[٢]

وقال الخطابي: "كان أنجشة أسود، وكان في سوقه عنف، فأمره أن يرفق بالمطايا، وقيل: كان حسن الصوت بالحداء، فكره أن تسمع النساء الحداء، فإن حسن الصوت يحرك من النفوس، فشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها. وجزم بذلك أبو عبيد الهروي ورجحه

---

(١) الرافعي: وحي القلم ١٦/٣.

(٢) *ابن برد، بشار: الديوان، شرح: محمد الطاهر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٨م، ١٩٦٦م، ٥٠/٤.*

القاضي عياض، وجوز القرطبي في المفهم الأمرين؛ فقال: شبههن بالقوارير؛ لسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن، فخاف عليهن من حث السير بسرعة السقوط أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد. قلت- يعني ابن حجر-: والراجح عند البخاري الثاني، ولذلك أدخل هذا الحديث في باب المعاريض، ولو أريد المعنى الأول لم يكن في لفظ القوارير تعريض"[1].

ومما وقع فيه التعانق البلاغي وتكاثرت نكاته قول العرباض بن سارية: "وعظَنا رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ- مَوعظةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ؛ فقلنا يا رسولَ اللهِ: إنَّ هذه لموعِظَةَ مُوَدِّعٍ فماذا تعهَدُ إلينا؟ فقال: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ..."[2]، فمن فرائده في وصف الصراط المستقيم قوله: تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا؛ ففيه تشبيه وكناية، وطباق؛ حيث شبه - صلى الله عليه وسلم- طريقته بالشيء الأبيض في الصفاء من كل ريب، والبعد عن كل عيب، والوضوح الذي لا ينهض إليه غيم، وكنى عن الصراط المستقيم بالبيضاء، ثم وظف الطباق بين الليل والنهار في بيان أن وجوه الشبه متحققة على امتداد الزمن، ومن ثم فإن ما تركنا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لا يتغير عما مات عليه.

ثالثا: **التعانق البلاغي في الشعر**:

للشعر عند العرب منزلة عظيمة؛ فهو"مَعْدِنُ عِلْم العرب، وسِفْرُ حِكمتِها، وديوان أخبارها، ومستَوْدعُ أيامها، والسُورُ المضروبُ على مآثرها، والخَندَقُ المحجوزُ على مفاخرها، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النَفار، والحُجةُ القاطِعةُ عند

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠ /٥٤٥.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ١/ ٤٨ رقم (٤٣).

الخِصَام(١)؛ ومستنبط آدابها ومستودع علومها(٢)، وبه حُفِظت الأنساب، وعُرِفت المآثر، ومنه تُعلِّمت اللغة، وهو حُجَّةٌ فيما أَشْكَلَ من غريب كتاب الله جلّ ثناؤه، وغريب حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحديث صحابته والتابعين(٣). وفيه قيل: أمدح بيت، وأهجى بيت، وأرق بيت؛ وما ذاك إلا لما اشتمل عليه من سحر البيان، وفصاحة اللسان، وسعة اللطائف الحسان، فنرى في البيت والبيتين من التعانق بين علوم البلاغة ما يسمح الطبع باستخراجه، وتقوى القريحة على استدراجه. ومن ذلك قول امرئ القيس(٤):

كَأَنّ قُلُوْبَ الطّيْرِ رَطْبَاً وَيَابِسَاً لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

أحدث التعانق الجمالي بين التشبيه، والكناية، واللف والنشر، والتضاد، والتنكيت، والتتميم، والتكرار تكثيفا جماليا للنكات البلاغية في البيت، ومن ثم فليس غاية ما يرنو إليه الشاعر أن يشبه الرطب من قلوب الطير بالعناب واليابس بالحشف البالي، فمن بديع النظم الشعري في البيت أن جعل البنية التكوينية للتشبيه من أوله إلى آخره تتكاثر فيها النكات البلاغية ولا تتدافع، فعلَّق أول الكلام بآخره، ليعطي صورة كلية لا يصح تجزئتها أو بعثرتها، فقال: (كَأَنّ) لليقين...، والحشف

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله: عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ، ٢٠٠/٢.

(٢) علي، جواد: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠١م، ٧١/١٧.

(٣) ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط١، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ٢١٢.

(٤) ابن حجر، امرؤ القيس: الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٢١م، ٣٨.

البالي للتتميم، ثم جعل بينهما لفا ونشرا مرتبا في التضاد، وبروية نستخرج من التضاد تضادا آخر على النحو التالي:

كَأنّ	قُلُوبَ	الطّيْرِ	رَطْبًا	وَيَابِسًا	....	العُنَّا	وَالحَشَفُ البَالِي
	تنكيت		تضاد ظاهر		تكرار	تضاد خفي	
			(١)	(٢)		(١)	(٢) تتميم
			لف ونشر مرتب				
تشبيه شيئين بشيئين يتعانق فيهما الكناية عن الشجاعة، والطباق، واللف والنشر، والتكرار والتتميم...							

وقد خص قلوب الطير بالذكر؛ ليكني عن شجاعته في ولوج وكر العقاب عن عمد، قال الأصمعي: "الجارح لا يأكل قلوب الطير؛ وإنما خصها دون غيرها لبقائها في وكر العقاب"[1]، ومن ثم فهو مُطَّلِع على هذا الوكر دون أن يخشى ما فيه، وفي الإطناب باللف والنشر إشارة إلى أنه يألف تأمُّل الوكر دون خوف، إذ لو تملكه الخوف، لما أبان عن دقة الوصف. وفي تكرار التضاد دلالة على أنه يعلم حال العقاب في جميع الأحوال سواء كان طعامها رطبا أو حشفا باليا، ومن ثم فشجاعته ممتدة على كل حال. فغاية الجمال في هذا البيت يكمن فيما أحدثه التعانق الجمالي من تكثيف للنكات البلاغية، وقد تبعه غيره من الشعراء، فقال بشار بن برد[2]:

(١) ابن وكيع، الحسن بن علي الضبي التنيسي: المنصف للسارق والمسروق منه، حققه وقدم له: عمر خليفة، ط١، جامعة قات يونس، بنغازي، ١٩٩٤م.

(٢) ابن برد، بشار: الديوان، ١/ ٣١٨.

كَأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْق رُؤُوسِنَا ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

وقد قصَّر عن امرئ القيس في تكاثر النكات البلاغية، ودقة الترتيب إلا أنه أبان عن رؤيته لما لا يراه البصير، فوصف لمعان السيوف وسط غبار المعركة بالليل الذي تتساقط كواكبه اللامعة، وأعتقد أنه قصد الشهب؛ لأن الكواكب لا تتساقط، قال ابن رشيق: "فإن كان مراده الترتيب فصدق، ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته"(١). ومما تعانقت فيه مباحث البلاغة من شواهد البلاغيين قول المتنبي(٢):

وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ ... يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فيهِ جَهَنَّمَا

تعانقت النكات البلاغية في هذا البيت وتكاثرت؛ فاشتمل على التشبيه، والطباق، والتتميم، والتنكيت، فاستهل البيت بالكناية عن الحرقة والشوق، فقال: وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ، ثم بين سببه في صدر الشطر الثاني؛ فشبه محبوبته بالجنة، وكنى عنها بها، وقد عقد جمالية هذا التعانق على التتميم، فأطنب بقوله: يا جنتي، ولو استغنى عنها لاستغنى عما ذكرنا من التكثيف الإبداعي في البيت. حيث ساهم التتميم في بناء الطباق؛ "لأن لفظة (يا جنتي) رشحت لفظة (جهنم) للمطابقة، ولو قال مكانها: يا منيتي، لم يكن في البيت طباق البتة"(٣)، وقد عمد إلى هذا الطباق لبيان أثر المحبوبة على حالة الشوق التي يعيشها، حيث لا يسكن خفوق القلب إلا بمحبوبته. ومن المعاني الكامنة وراء حواشي هذا التعانق أنه جمع

---

(١) ابن رشيق القيرواني، أبو على الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، 1401هـ، ١٩٨١م،١/٢٩١.

(٢) أبو الطيب المتنبي: الديوان، 15.

(٣) ابن حجة: خزانة الأدب، ٢/٣٠٠.

بين حرقة القلب من الشوق وما يطفئها، فقال: يا جنتي؛ فهي جنته التي يحيا بهـــا.
ومن التعانق البلاغي البديع قول الشاعر(١):

إِنَّ هَـــذَا الرَّبِيـــعَ شَـــيْءٌ عَجِيـــبُ   تَضْحَكُ الأَرْضُ مِـــنْ بُكَـــاءِ السَّـمَاءِ

ساهم التعانق الجمالي بين النكات البلاغية في التشكيل الجمالي للإبهام فـي الشطر الأول، فقال: إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبُ، فأبان عنه باقتباس، فأفصح عـن استعارتين، وكنايتين، ومقابلة؛ فلم يحظ إبهام بمثل هذا الإيضـــاح الجمـــالي بعـد الاستطراد في كشفه والإفصاح عنه، فالشطر الثاني يمثل إحدى وجوه تفسير قولـه تعالى: **{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى}**[النجم:٤٣]، قال القرطبـي: "قـال الضـحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر، وقيل: أضحك الأشجار بالنوار... وأبكى السحاب بالأمطار"(٢)؛ وهما استعارتان، حيث شبه الأرض بإنسان يضحك، وكنى به عن النباتات أو الزهر، وشبه السماء أو السحاب بإنسان يبكي، وكنى عنه بالمطر، فاشتملت الصورتان على طباق؛ للدلالة على تغير حال الدنيا، وبيان تنوع قدرة الله سبحانه وتعالى، قال العسكري: "وقد تنازع الناس هذا المعنى، قـال ابـن مطير: تضحك الأرض من بكاء السماء، وقال آخر: ضحك المزن بها ثم بكى ... فلم يقرب أحد من لفظ القرآن في اختصاره، وصفائه، ورونقه، وطلاوته، ومائـه، وكذلك جميع ما في القرآن من الطباق"(٣). وقد خص الربيع بالـذكر؛ لأن الأرض فيه كالعرس ليلة زفافها. ومن التعانق البلاغي قول رشيد الدين الوطواط"(٤):

---

(١) نفسه، ١/١٥٨.
(٢) القرطبي، أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن الكريم، ط١، دار الفكر،٢٠١٩م، ٩/٨٨.
(٣) العسكري: الصناعتين، ٣٠٩.
(٤) السبكي، بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنـداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م، ٢/ ٢٥٣.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فَوَجْهُـــكَ كَالنّـــارِ فِـــي ضَــوْئِهَا   وقَلْبِـــيَ كَالنّـــارِ فِـــي حَرِّهَـــا.

يؤدي الجمع مع التفريق، والالتفات، والتضاد دورا في التشكيل الجمالي للتشبيهين في البيت، حيث شبه وجه الحبيب وقلبه بالنار، وفرق بين وجهي التشبيه، فالمشبه في الشطرين يشتركان أو يجتمعان في المشبه به (النَّار) إلا أن هذا الاجتماع لم يمنع من الافتراق في الوجه، فوجه المحبوبة ضوء إشراق وأمل، وقلب المحب لهفة حرقة وألم وبينهما تضاد؛ لأن إشراق الوجه ظاهر وحرقة القلب باطن لا يستقل بتمام إدراكه إلا من ابتلي به. ويمكن بيان التعانق البلاغي على النحو التالي:

المشبه	أداة التشبيه	المشبه به	الوجه
الوجه/ القلب	الكاف	النار	الضوء/ الحر/الحرقة
تفريق	تكرار	جمع	تفريق
التفات			تضاد
التفريق في المشبه أفضى إلى وجوب ذكر وجه الشبه في النظم ثقة في أن المتلقي سيرد كل شيء لما يناسبه.			

وعليه نلاحظ أن التفريق في المشبه أفضى إلى وجوب ذكر وجه الشبه؛ لأنه لو حذفه، لذهب دور الجمع مع التفريق في تعدد التشبيه؛ لورد الإيهام بأن وجه الشبه واحد وهو الحرقة أو الضوء. ومما تكاثرت نكاته قول امرئ القيس في وصف الفرس(١):

مِكَـــرٍّ مِفَـــرٍّ مُقْبِـــلٍ مُـــدْبِرٍ مَعًـــا ** كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَـلِ

(١) امرؤ القيس: الديوان، ١٩.

اشتملت البنية التكوينية للصورة التشبيهية على طباقين، وتكميل، واستطراد، واتساع يومئ إلى أننا لسنا أمام خيل واحد؛ وإنما أربعة خيول في خيل، والمعنى أن فرسه "يصلح للكر والفر، ويحسن مقبلًا مدبرًا، معًا؛ أي: جميع ذلك فيه، فشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة، فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه؟ وقيل: معنى قوله كجلمود صخر حطه السيل من عل إنما هو الصلابة؛ لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب أو أراد الإفراط، فزعم أنه يرى مقبلاً ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته"[١]، وقد عزز من هذا الاتساع الطباق بين ثنائية (الكر والفر)، و(الإقبال والإدبار)، ولو لم يقل بعد ذلك: (معا)؛ لذهب شطر الجدة والابتكار في الصورة التشبيهية، قال ابن حجة: "فالمطابقة في الإقبال والإدبار، ولكنه لما قال (معا) زادها تكميلا، فإن المراد بها قرب الحركة وسرعتها في حالتي الإقبال والإدبار، وحالة الكر والفر. فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الوقع الحسن في النفس، ثم إنه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل إلى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعي، وبهذا اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد[٢]. وقد أبان هذا الاستطراد الجمالي الذي تعانقت فيه النكات عن أننا أمام فرس في قوة أربعة.

ومن التعانق البلاغي قول البحتري يصف إبلا أنحلها السري[٣]:

يَترقْرقْنَ كَالسَّرَابِ وقَدْ خُضْـ ** ـنَ غِمَاراً مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي

---

(١) ابن رشيق: العمدة، ٢/٩٣.

(٢) ابن الحجة: خزانة الأدب، ١/١٦١.

(٣) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: الديوان، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٩٦٣م، ١/٩٨٧.

كالْقِسِـــيِّ الْمُعَطَّفَـــاتِ بَـــلِ الأَسْـــ ** ـــــهُم مَبْرِيَّـــةً بَـــلِ الأَوْتَـــارِ

ففيه تشبيه، وإيجاز، وتتميم، ومراعاة النظير، ولف ونشر غير مرتب؛ "فإنه شبه الإبل بالقسي، وأراد أن يكرر التشبيه، فكان يمكنـــه أن يشـــبهها بـــالمعراجين والأهلة والأطناب ونحو ذلك، لكنه اختار الأسهم، والأوتـــار، لمناســـبتها للقســـي. وترقى في التشبيه، فكأنه قال: إن تلك الإبل المهازيل في شكلها، ودقة أعضـــائها، شابهت القسي، بل أدق منها وهـــي الأســـهم المنحوتـــة، بـــل أدق منهـــا وهـــي الأوتار.(والسهوم المبرية كناية عن العيون، والأوتار كناية عما يثير صوتها مـــن الرقة والطرب، وهذا ما سمي باللف والنشر غير المرتبين؛ لأنه قدم الحاجب على العيون، والسهام عن العيون الساحرة، والأوتار كناية عن نظارتهـــا، ورشـــاقتها، وجمال حركتها[١]، فإن تشبيه الإبل بالقسي كناية عن هزالها، فلو شبهها بغير ذلـــك كالعرجون والدال جاز، ولكن المناسبة والائتلاف بين الأسهم، والأوتار، والقســـي حسنت التشبيه[٢]. والمعنى أنه لولا هذا التعانق الجمالي لما حســـن علـــى الوجـــه المذكور. ومن التعانق البلاغي قول أبي سعيد المخزومي[٣]:

طَوى الجَديدانِ ما قَـــد كُنـــتُ أَنشُـــرُهُ ** وَأَنكَرَتنـــي ذَواتُ الأَعـــيُنِ النُّجُـــلِ

ففيه استعارة، وطباق، وكناية، وإيجاز حذف، فاســـتهل البيـــت باســـتعارة، وختمه بكناية، وجعل بينهما طباقا يكشف عن تغير حال الشـــاعر، فقـــال: طـــوى الجديدان، فشبه الليل والنهار بإنسان يطوي سجل الحياة للإيذان بالرحيل والانتهاء، ولذا عبَّر بالفعل الماضي، ثم وظف التضاد في قوله: (طوى...ما كنت أنشره) في بيان الفارق بين مرحلتين من العمر وما يحمله من ذكريات قد طويت، ومن ثم لـــم

---

(١) ينظر: البردوني، عبد الله: سقوط المتعالي إلى الفراغ، ط١، دار عناوين بوكس، ٢٠٢١م، ٢٧٨.

(٢) ابن حجة: خزانة الأدب، ٢/ ٤٤٥.

(٣) رزوق، رزوق فرج: شعر أبي سعيد المخزومي، جامعة بغداد، مطبعة الإيمان، ١٩٧١م، ٥١.

يعد فيه مطمع لأحد، ولذا قال: وأنكرتني ذوات الأعين النجل، وهذه كناية عن الكبر، وعبَّر بالإنكار؛ للدلالة على الرفض مع المجانبة، والجحود، والإعراض. وقريب منه قول الشاعر الحكم الحضرمي(١):

قَدْ كَانَ يُعْجِبُ بَعْضَهُنَّ بَرَاعَتِي ** حتَّى سَمِعْنَ تنَحْنُحِي وسعالي

وقال الصاحب: "قد سبق ابن المعتز كل من قال في رغبة النساء عن المشيب بقوله(٢):

فظلَلْتُ أَطْلُبُ وَصْلَها بتذَلُّل ** والشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بأن لا تَفْعَلِي

ومنه أيضا قول البحتري(٣):

فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أحْيانًا يُضَاحِكُهَا ** وَرِيقُ الغَيْثِ أحْيَانًا يُبَاكِيهَا

ساعد التعانق الجمالي بين النكات البلاغية في التكثيف الإبداعي، فقد جمع البيت أربع استعارات، وطباقين: أحدهما خفي، والآخر ظاهر، واحتراسا، وذلك على النحو التالي:

الاستعارة الأولى	الاستعارة الثانية	الاستعارة الثالثة	الاستعارة الرابعة
فحاجب الشّمس...	**يضاحكها**	**وَرَيّقُ الغَيْثِ...**	**يباكيها**
استعارة مكنية	استعارة مكنية	استعارة مكنية	استعارة مكنية
الشمس	طباق خفي	الغيث	
	طباق ظاهر		طباق ظاهر

(١) ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، ط١، قسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ، ٥٨.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ، ٢/٣٥٤.

(٣) البحتري: الديوان، 2418/4.

واحترس بقوله: أحيانا من أن يقع التناقض بين الضحك والبكاء في آن واحد. وبين الشمس والغيث طباق خفي. وقال الفرزدق في وصف الشيب والشباب[١]:

وَالشَيبُ يَنهَضُ في السَوادِ كَأَنّهُ ** لَيْلٌ يَصِيحُ بجانبيهِ نَهَارُ

للتعانق البلاغي بين تعدد الطباق أثر في التشكيل الجمالي للتشبيه في البيت؛ ففيه طباقان، وتشبيهان، واستعارة، وكناية و"حسن سبك ورصف"[٢]، فقد شبه هيئة ظهور الشيب في الشباب بهيئة ظهور الصبح في جوانب الليل، وشبه النهار بذي الحاجة الذي يصيح من أجل الحصول على حاجته، ولكنه حذف المشبه به وأبقى لازمه (يصيح)[٣]. ويصح أن نقول: شبه شيئين بشيئين: الشيب بالليل والشباب بالنهار، فكوَّن تشبيهين من طباقين، وقد دلت الاستعارة في قوله: ليل يصيح بجانبيه نهار على أن في الشباب قوة وفتوة وحركة وحيوية كالتي في النهار، وفي الليل تنحنح وسعال المشيب. ومن التعانق البلاغي قول ابن زيدون:

سِرَّانِ فِي خَاطِرِ الظَّلْمَاءِ يكتتما ** حتَّى يَكَادَ لسَانُ الصُبْحِ يفشينا[٤]

ساهمت المقابلة الثلاثية: (خاطر/لسان- الظلماء/الصبح- يكتتما/يفشينا) في التشكيل الجمالي لعدة فنون بلاغية؛ وهي حسن التقسيم، والتشبيه، والاستعارة،

(١) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة: الديوان، تحقيق: علي فاعور، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1407هـ، 1987م، ٣٢٣.

(٢) العسكري: الصناعتين، ٣١٤.

(٣) زايد، فهد خليل: البلاغة بين البيان والبديع، ط١، الأردن، دار يافا العلمية، ١٤٢٧هـ، ٩٥ بتصرف.

(٤) ابن زيدون، أحمد بن عبد الله: الديوان، شرح: يوسف فرحات، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٥م، ١٩٩٤م، ٣٠٢.

والكناية؛ فاستعار للظلماء خاطرا وجعله كناية عن الستر، واستعار للصبح لسانا وجعله كناية عن الكشف، وشبه نفسه ومحبوبته بالسِّرين، ثم أطنب في بيان حالهما، وناسب بين ذلك كله؛ فناسب بين الخاطر والظلماء، والظلماء ويكتتما، واللسان والصبح، والصبح ويفشينا؛ فجاء البيت لحمة واحدة كالعقد المترابط بعضه يأخذ بأعناق بعض. ومما وقع فيه التعانق البلاغي قول ابن نباتة السعدي:

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أُؤَمِّلُه ** تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

فقد اجتمع في البيت إطناب، وطباق سلب، واستعارة مكنية، وتوكيد؛ فقوله: "تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل، تذييل غير مستقل عن الجملة السابقة"[1]، وهو قوله: "لم يبق جودك لي شيئا أؤمله؛ لأنه مصرح بأن جوده لم يترك له أمنية يتمناها، فلم يبق له أمل في الدنيا يرجو حصوله بحال، وهذا نهاية المدح، وقد أخذه المتنبي، وزاد عليه في قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

تُمسِي الأمانيُّ صَرْعَى دونَ مَبْلَغِه ** فَما يَقولُ لِشَيءٍ لَيتَ ذَلِكَ لي

وهذا أعظم من الأول في المدح، وأدخل في الأدب مع الممدوح"[2]. قال ابن الشجري: ومثله لأبي الفرج الببغاء:

لَمْ يُبْقِ لي أمل أرجو نداك به ** دهري لأنك قد أفنيت آمالي[3]

وكان أبو الفرج وابن نباتة متعاصرين، فلست أعلم أيهما أخذ

---

(١) أحمد، أحمد مطلوب: أساليب بلاغية، (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م، ٢٣٨.

(٢) العلوي: الطراز، ٣/١١٣.

(٣) المخزومي، عبد الواحد بن نصر: شعر الببغاء، دراسة وتحقيق: سعود الجابر، ط١، قطر، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة، ١٩٨٣م، ١٣٩.

من صاحبه"(١). وفي التذييل استعارة تصريحية، حيث شبه الدنيا بالصحبة الخالية؛ للدلالة على أنه لم يترك له شيء يرجو حصوله، وطابق بين أومله في الشطر الأول، ولا أمل في الثاني؛ للدلالة على اختلاف الحالتين، وأن الأول سبب في انتفاء الثاني. ومن التعانق البلاغي قول الشاعر:

أَلَسْتَ أنتَ الذي مِن ورْدِ نِعمته ** وورْدِ راحته أجْنِي وأغترف

قال ابن حجة: "وقد جمع هذا البيت، مع حشمة الألفاظ، بين جناس التحريف، والاستعارة، واللف والنشر(٢). فاللف (ورد نعمته وراحته)، والنشر: (أجني؛ أي: من ورد نعمته، وأغترف؛ أي: من ورد راحته)، وهو لف ونشر مرتب، وقد اشتمل على استعارة، وجناس كما هو بين، مع حشمة الألفاظ، كما ذكر ابن حجة الحموي. ومن تعانق التورية، والتشبيه، والكناية قول أبي العلاء(٣):

وَحَرْفٍ كَنُونٍ تَحْتَ رَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ ** بِدَالٍ يؤم الرَّسْمَ غيَّره النَّقْطُ

قال الحموي: "فمن سمع هذا البيت توهم أنه يريد بـ (راء ودال) حرفي الهجاء؛ لأنه صدر بيته بذكر الحروف، وأتبع ذلك بالرسم والنقط، وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر أولا إلى ذهن السامع، والمراد غيره، وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب؛ لأن مراده بالحرف الناقة، وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها، وبراء اسم الفاعل من رأى إذا ضرب الرئة، وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو إذا رفق في السير، وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر. ومعنى

---

(١) ابن الشجري، هبة الله بن علي: الأمالي الشجرية، تحقيق: محمود الطناحي، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩١م، ٦٩/٣. وفيه أن الشطر الأول: لَمْ يُبْقِ جُودُك لِي شَيْئًا أُؤَمِّلُه...

(٢) ابن حجة: خزانة الأدب، ١/ ١٥٠.

(٣) المعري، أبو العلاء: سقط الزند، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٧م، ١٧٧.

هذا البيت أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها؛ مثل نون تحت رجل يضـــرب رئتيهـــا ولم يرفق بها في السير، فهو غير دال، وقد تقدم أن الدالي هو الرفيق ويـــؤم بهـــا دارا غير المطر رسمها واجتماع هذه الأوصاف دليل على ضعف الناقة؛ لأنها لـــو كانت قوية، لما احتاجت إلى ضرب رئتيها وإلى الرفق بها، مع شدة شـــوقه إلـــى ديار أحبابه، وذلك باعث على شدة السير"(١). والبيت كله كناية عن ضعف الناقـــة، فقد وظف التورية في زيادة إيضاح التشبيه والكناية في نفس المتلقي.

(١) ابن حجة: خزانة الأدب، ٢/ ٣٩.

الخاتمة:

من خلال استجلاء التعانق البلاغي وأثره الجمالي في تكاثر النكات وترابطها في الشاهد البلاغي، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

أولا: تكمن أسباب غياب ظاهرة التعانق البلاغي في القيود المنهجية عند بلاغيي التقنين، ومن أهمها الضبط الاصطلاحي والفصل الاستشهادي بين علوم البلاغة ومباحثها. وقد أفضى ذلك إلى الانشغال باستيفاء المباحث البلاغية وكثرة الاستشهاد غير المحلل على أنواعها، كما أن النكات البلاغية لا يتوارد استنباطها على الفهم دفعة واحدة، بالإضافة إلى النظرة الجزئية في تأويل الشاهد عند بلاغيي التقنين.

ثانيا: اتسمت تحليلات بعض رواد المدرسة الأدبية بالوقوف على جماليات التعانق البلاغي في بعض الاستشهادات، ومن أبرزهم ابن أبي الإصبع المصري في تحرير التحبير وبديع القرآن، وابن حجة الحموي في خزانة الأدب.

ثالثا: أبانت الدراسة أن النكات البلاغية تتكاثر ولا تتدافع؛ وقد اتضح ذلك في تناول المفسرين من البلاغيين للنص القرآني، ولم يشتهر الاستطراد البديعي أو التعانق البلاغي في التصنيف البديعي إلا على يد رواد المدرسة الأدبية في التحليل.

رابعا: ساعدت بعض مباحث علمي المعاني والبديع في البناء التركيبي لمباحث علم البيان والعكس؛ مما يبرهن على أن لعلم البديع أهمية كبيرة في التشكيل الجمالي لعلمي المعاني والبيان.

خامسا: إعادة قراءة الشاهد البلاغي في ضوء الوقوف على الأثر الجمالي للتعانق البلاغي تبرز ما في النص الأدبي من غموض جمالي لا يمكن كشفه بالفصل بين علوم البلاغة عند التأويل.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت. كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق: نوري القيسي، العراق، جامعة الموصل، 1982م.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه: محمد الضباع، القاهرة، دار الفكر، د.ت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين: زاد المسير في علم التفسير، القاهرة، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، 2002م.
- ابن الشجري، هبة الله بن علي: الأمالي الشجرية، تحقيق: محمود الطناحي، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1413هـ، ١٩٩١م.
- ابن المعتز، عبد الله: البديع، اعتنى بنشره: اغناطيوس *كراتشكوفسكى*، لندن، طبعة كراتشكوفسكي، ١٩٣٥م.
- ابن النقيب، أبو عبد الله جمال الدين: الفوائد المشوق في علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق: عطية الغول، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
- ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، ط١، قسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ.
- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد: الإفصاح عن أحاديث النكاح، تحقيق: محمد شكور، ط١، عمان، الأردن، دار عمار، ١٤٠٦ه.

- ابن حجر، امرؤ القيس: الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٢١م.
- ابن رشيق القيرواني، أبو على الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، 1401هـ، ١٩٨١م.
- ابن زيدون، أحمد بن عبد الله: الديوان، شرح: يوسف فرحات، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٥م، ١٩٩٤م.
- ابن شداد، عنترة: الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٩م، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٤٨م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، ط٢، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.
- ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط١، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبى بكر: التبيان في أقسام القرآن، القاهرة، مكتبة المتنبي، 1981م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمود حسن نصار، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، ط٥، بيروت، لبنان، دار صادر، ٢٠٠٥م.
- ابن هبيرة، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد: الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الرياض، دار الوطن، ١٤١٧هـ.
- ابن وكيع، الحسن بن علي الضبي: المنصف للسارق والمسروق منه، حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، ط١، جامعة قات يونس، بنغازي، ١٩٩٤م.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، القاهرة، دار المصحف، د.ت.
- *أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي: الديوان، بيروت للطباعة والنشر،* ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1431هـ، 2010م.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- الإِيجي، محمد بن عبد الرحمن، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: الديوان، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٩٦٣م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد: صحيح البخاري، بيروت، المكتبة العصريَّة، ١٤٣٢هـ.
- البردوني، عبد الله: سقوط المتعالي إلى الفراغ، ط١، دار عناوين بوكس، ٢٠٢١م.
- البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤ه، ١٩٨٤م.
- البوشيخي، الشاهد: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ط١، القاهرة، دار السلام، ٢٠١٨م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح سنن الترمذي، ترقيم: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة، مكتبة الصفا، ٢٠١٤م. الشمائل المحمدية، تحقيق: عبده كوشك، المنامة: مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، د.ت.
- الحموي، ابن الحجة: خزانة الادب وغاية الأرب، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- *الخطيب التبريزي*؛ يحيى بن علي: شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١١٦/٣.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ.
- رزوق، رزوق فرج: شعر أبي سعيد المخزومي، جامعة بغداد، مطبعة الإيمان، ١٩٧١م.
- السبكي، بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨ه، ١٩٣٩م.المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، وآخرون، المكتبة العصرية، د.ت.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط٢، ١٤٠٠ه، ١٩٨٠م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، السعودية، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخريج: إسلام منصور، وآخرون، القاهرة، دار الحديث،١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ.
- العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
- العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وتدقيق: محمد عبد السلام، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة: الديوان، تحقيق: علي فاعور، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1407هـ، 1987م.
- القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل العيون السود، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٨م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن الكريم، ط١، دار الفكر، ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن: لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم بسيوني، ط٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- القنوجي، صديق بن حسن خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت ١٤١٢ه، ١٩٩٢م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات معجم في المصطلحات والفروق، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، د.ت.

- الكلابي، *زفر بن الحارث*: الديوان، تحقيق: رضوان محمد النجار، مج ١١، ع ٣٣، الأردن، ١٩٨٧م.
- المعري، أبو العلاء: سقط الزند، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

المراجع:

- أحمد، أحمد مطلوب: أساليب بلاغية، (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م.
- بازي، محمد: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ.
- درويش، محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط٧، دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- الدسوقي، محمد: فن الإطناب في الفكر البلاغي العربي؛ دراسة بديلة لتنظير البلاغيين القدماء، ضمن بحوث النص والقارئ ، الفكر البلاغي والنقدي العربي في ضوء نظرية التلقي، ط١، طنطا، دار النابغة.
- الرافعي، مصطفى صادق: وحي القلم، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.
- زايد، فهد خليل: البلاغة بين البيان والبديع، ط١، الأردن، دار يافا العلمية، ١٤٢٧هـ.
- السامرائي، فاضل بن صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط٣، عمان، الأردن، دار عمار، 1423هـ، ٢٠٠٣م.
- صالح بن غرم الله الغامدي: المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، عرض ونقد، دار الأندلس، 1998م.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر: ملح التفسير ولطائفه (٢)، https ://www.attyyar.com

- علي، جواد: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- علي، زكريا سعيد: مقدمة تفسير ابن النقيب والمطبوع خطأً بعنوان: (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) https:www.alukah.net
- الكردي، عبد الرحمن: مناهج قراءة النص في التراث العربي، ط١، طنطا، دار النابغة، ٢٠١٩م.
- هارون، عطية جمعة: البلاغة العربية عند ابن حجة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٣م.

الدوريات:

- الخضيري، محمد بن عبد العزيز: لطائف بلاغية في آية قرآنية، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، ع١٥٨، ٢٠٠١م.
- زعطوط، حسين محمد: النكت البلاغية مفاهيم وآليات، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع٨، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- زعطوط، حسين محمد: مصطلح النكت البلاغية بين التنظير البلاغي والفهم التطبيقي للخطابات الأدبية، مجلة اللغة الوظيفية: جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، مج ٨، ع٢، ٢٠١٥م.
- عبد السلام، فايز صبحي: تعانق البناء النحوي مع القافية في بائية ذي الرمة ودلالته في النص، جامعة الكويت حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مج ٣٥، ع٤١٨، ٢٠١٤م.
- محمود، محمد عبد الجليل: أضواء على اعتزاليات الزمخشري في الكشاف عرض ودراسة وتعليق، أسوان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، مج٢، ع٢، 2019م.
- مشبال، محمد: التأويل البلاغي"عن مرتكزات تأويل الوجوه الأسلوبية في البلاغة العربية"، فصول مجلة النقد الأدبي، مج (٤/٢٦)، ع(١٠٤)، خريف ٢٠١٨م.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	**ملخص**	١٦٥٧
٢-	Abstract	١٦٥٨
٣-	**مقدمة**	١٦٥٩
٤-	**التمهيد**:	١٦٦١
٥-	**أولا**: **النكات البلاغية وروادفها المشتركة**:	١٦٦١
٦-	**ثانيا**: **التعانق البلاغي وجمالية التأويل**:	١٦٦٤
٧-	**المبحث الأول**: **التعانق البلاغي بين بلاغة التقنين والتفسير**:	١٦٦٧
٨-	**المبحث الثاني**: **التعانق البلاغي وأثره الجمالي في تكاثر النكات في الشاهد**:	١٦٧٩
٩-	**الخاتمة**:	١٧١٦
١٠-	**المصادر والمراجع**:	١٧١٧
١١-	**فهرس الموضوعات**	١٧٢٤

تم بحمد الله